مركز الخليل بن أحمد الفراهيدي للدراسات العربية والإنسانية
Al-Khalil bin Ahmed Al-Farahidi Center for Arabic Studies and Humanities

جامعة نزوى
University of Nizwa

مجلة الخليل للعلوم الاجتماعية

Al-Khalil Journal for Social Sciences

مجلة علمية محكمة نصف سنوية

Semi-annual peer-reviewed scientific journal

Volume: 1 | Issue: 3 | April | 2025 | المجلد الأول | العدد الثالث | إبريل

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٨

مجلة الخليل للعلوم الاجتماعية
Al-Khalil Journal for Social Sciences
رقم العدد: 3
السنة: 2025

المجلس التوجيهي لمجلات الخليل بجامعة نزوى

رئيس جامعة نزوى

نائب الرئيس للدراسات العليا والبحث العلمي و العلاقات الخارجية

مدير مركز الخليل بن أحمد الفراهيدي للدراسات العربية والإنسانية

رئيس التحرير

أ.د. أحمد بن حمد الربعاني

أستاذ مناهج وطرق تدريس، جامعة السلطان قابوس

arabaani@squ.edu.om

مدير التحرير

د. سليم بن محمد الهنائي

أستاذ مساعد تخصص التاريخ، جامعة نزوى

sulayim.alhinai@unizwa.edu.om

هيئة التحرير

د. ابتسام بنت هلال العبرية

أستاذ مشارك ومدير مساعد منظمة التجارة العالمية، جامعة السلطان قابوس.

ialabri@squ.edu.om

د. عثمان محمد عثمان علي

أستاذ مشارك في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا الاجتماعية

جامعة الخرطوم

osmanmohamedosman@yahoo.com

د. سليمان بن سالم الحسيني

مركز الخليل بن أحمد الفراهيدي،

للدراسات العربية والإنسانية،جامعة نزوى

salhusseini@unizwa.edu.om

أ. د نائل حنون

الآثار واللغات القديمة، جامعة نزوى

nael@unizwa.edu.om

د. ناصر بن سيف السعدي

أستاذ التاريخ والثقافة المساعد بكرسي اليونسكو لدراسات الأفلاج، جامعة نزوى.

n.alsaadi@unizwa.edu.om

د. جبارة سعيد حسن

أستاذ مساعد، قسم العلوم السياسية، جامعة السلطان قابوس

gubara@squ.edu.om

د. جمال بن مطر السالمي

أستاذ مشارك، إدارة المعرفة، جامعة نزوى

alsalmij@unizwa.edu.om

أ.د ياسين عبد الرحمن الشرعبي

رئيس قسم الجغرافيا، جامعة السلطان قابوس

yassine@squ.edu.om

د. ماجدة حمود الصلتي

أستاذ مساعد بقسم السياحة، جامعة السلطان قابوس

majda514@squ.edu.om

أ.د سليمان بن علي الشعيلي

استاذ التفسير وعلوم القرآن، جامعة السطان قابوس

sulayman@squ.edu.om

د. المختار بن سيف العبري

استاذ مشارك في الاقتصاد، جامعة السلطان قابوس

asalabri@squ.edu.om

د. سيد بشير أحمد

أستاذ مساعد اللغات الأجنبية، جامعة نزوى

bashir@unizwa.edu.om

محرر المجلة

أ. خالد إبراهيم

باحث، مركز الخليل بن أحمد الفراهيدي

للدراسات العربية والإسلامية، جامعة نزوى

khalid.ali@unizwa.edu.om

المدقق اللغوي

د. خليل محمد الحوقاني

اختصاصي بمركز الخليل بن أحمد الفراهيدي

للدراسات العربية والإنسانية، جامعة نزوى

k.alhoqani@unizwa.edu.om

التصميم والإخراج الفني

فاطمة بنت ضحي الصريدية

مصممة الغلاف ومنسقة المحتوى

fatemaalsaraidi@gmail.com

مجلة الخليل للعلوم الاجتماعية
Al-Khalil Journal for Social Sciences
رقم العدد: 3 السنة: 2025

محتويات الفهرس

1	كلمة العدد	9
2	حركة إبراهيم بن المهدي ضد الدولة العباسية زمن الخليفة المأمون (198-218هـ/813-833م). عبدالعزيز السعدي	11 - 24
3	العناصر الكلاسيكية والمحلية في تصوير الإسكندر على العملة في مصر أ.د. منال حسين	25 - 35
4	المُعَدّلون وأدوارهم في مجلس القضاء في عُمان خلال الفترة (132-280هـ/749-893م) د. خلود بنت حمدان الخاطرية	36 - 46
5	العولمة وأثرها على اللغة العربية ومستقبل الهوية: التحديات وسبل المواجهة د. غصاب الصقر	47 - 57

كلمة العدد

يسر مجلة الخليل للعلوم الاجتماعية أنْ تقدم لقرائها الأعزاء العدد الثالث من المجلة، والذي يتناول بحوثًا تسلط الضوء على مجموعة من القضايا الفكرية والتاريخية والسياسية، لها أهميتها في تراث الأمتين العربية والإسلامية وحمولتها الثقافية، جاءت موضوعات هذا العدد متنوعة بين قضايا الهوية واللغة، والدراسات التاريخية التي تعيد قراءة أحداث التاريخ ومحطاته مفصلية.

كما أن أحد بحوث هذا العدد يسعى لمناقشة أثر العولمة على اللغة العربية والهوية، مستعرضًا التحديات التي تواجهها العربية في ظل التغيرات العالمية والمحلية، وطرق الحفاظ على أصالتها. كما يتناول بحث آخر دور "المُعدّلين" في مجلس القضاء العُماني خلال العصر العباسي، مسلطًا الضوء على تطور القضاء في تلك الحقبة.

أما في المجال التاريخي، فنجد دراسة تتناول تصوير الإسكندر الأكبر على العملات في مصر، بين العناصر الكلاسيكية والتأثيرات المحلية، ما يكشف عن التفاعل الثقافي بين الحضارات. إضافة إلى ذلك، يقدم بحث آخر قراءة تحليلية لحركة إبراهيم بن المهدي ضد الدولة العباسية في عهد المأمون، مستعرضًا أبعادها السياسية والاجتماعية.

هذا وكلنا أمل أن يجد الباحث الكريم غايته في هذا العدد، وأن تكون المادة العلمية غنية تثري المعرفة وتفتح آفاقًا جديدة للتفكير والبحث والدراسة.

هيئة التحرير

مجلة الخليل للعلوم الاجتماعية
Al-Khalil Journal for Social Sciences
جامعة نزوى University of Nizwa
مركز الخليل بن أحمد الفراهيدي للدراسات العربية والإنسانية
Al-Khalil bin Ahmed Al-Farahidi Center for Arabic Studies and Humanities
رقم العدد: 3 السنة: 2025

حركة إبراهيم بن المهدي ضد الدولة العباسية زمن الخليفة المأمون (198-218هـ/813-833م).

عبدالعزيز السعدي
nalsaadik@gmail.com

ملخـــص:

تهدف الدراسة إلى الكشف عن حركة إبراهيم بن المهدي 202هـ/817م، وهي إحدى الحركات السياسية المعارضة ضد الدولة العباسية في العراق زمن الخليفة المأمون (198-218هـ/813-833م)، لقد طغت الأهداف السياسية على الحركات المعارضة في زمن الخليفة المأمون، وذلك بسبب تدهور الأوضاع السياسية في الدولة العباسية، وبالتحديد في بغداد حاضنة الخلافة العباسية، ومن أبرز هذه الحركات حركة إبراهيم بن المهدي 202هـ/817م، التي كان لها أثرها في نفس الخليفة المأمون، فقد كانت هذه الحركة عبارة عن ردت فعل قام بها البيت العباسي على بعض القرارات التي أتخذها الخليفة أثناء خلافته.

تتبعت الدراسة حركة إبراهيم بن المهدي منذ بداياتها، وسلطت الضوء على الأسباب التي دعت لقيام هذه الحركة، كما كشفت الدراسة عن كيفية تعامل الخليفة المأمون مع هذه الحركة حتى تمكن من إخمادها.

الكلمات المفتاحية: بغداد، خراسان، مرو، المطوعة، البصرة، الغوغاء.

تاريـــخ استـــلام البحـــــث:
Date of Submission:
15- 06- 2023

تاريـــخ التحكيـــــــم:
Date of Reviewing:
18- 07 -2023

تاريخ استلام النسخـــة المعدلة:
Date of receiving the revived form :
26- 08 -2023

تاريـــــخ القبـــول:
Date of acceptance :
31- 08 - 2023

تاريـــخ النشـــر الرقمـــي:
Date of publication online :
01-04 -2025

لإقتبـــاس هذا المقـــال:
For citing this article:
السعدي، عبدالعزيز. (2025). حركة إبراهيم بن المهدي ضد الدولة العباسية زمن الخليفة المأمون (198-218هـ/813-833م). مجلة الخليل للعلوم الاجتماعية، العدد (3)، 11 - 24.

The Movement of Ibrahim Al-Mahdi Against the Abbasid Dynasty During the Reign of Caliph Al-Ma'mūn (198-218 AH/ 813-833 AD)

Abdulaziz Al-Saadi
nalsaadik@gmail.com

Abstract:

This study explores the movement of Ibrahim Ibn Al-Mahdi 202 AH/ 817 AD, which is a political opposition movement against the Abbasid State in Iraq at the reign of Khalifa Al-Ma'mūn (218 AH/ 813-833 AD). The political objectives characterized the opposition movements at the time of Caliph Al Ma'mun, because of the deteriorating political conditions in the Abbasid State, particularly in Baghdad, which was the Capital of the Abbasid Caliphate. The Movement of Ibrahim bin Al-Mahdi, which took place in 202 AH/817 AH, was a major movement that had a considerable impact on Caliph Al-Ma'mūn. This movement was a reaction of the Abbasid House against some decisions made by Caliph Al-Ma'mūn during his Caliphate.

This study traced the Movement of Ibrahim Ibn Al-Mahdi from its beginnings, and highlighted the reasons for its rise. It also explored how Caliph Al-Ma'mūn dealt with this movement until he managed to suppress it.

Keywords: Baghdad, Khorasan, Marw, Al Mutawwaa, Al Basrah, Mob.

المقدمة

قامت الدولة العباسية على أنقاض الدولة الأموية عام 132هـ/749م، بعد حروب ضارية بين الأمويين والعباسيين، ومنذ قيام الدولة العباسية كانت الحركات المعارضة تظهر بين فترة وأخرى ضد سياسة الخلفاء الذين تولَّوا زِمام الحكم، وقد اختلفت هذه المعارضات في طبيعة أهدافها؛ فمنها ما كان مدفوعا بأسبابٍ دينية، ومنها ما كان طامعا في تحقيق أهدافه الشخصية حبًّا للسلطة والحكم، ومنها من دفعته الغيرة القبلية لتقديم العجم على العرب في المناصب الإدارية للدولة. وعند تولي المأمون الخلافة عام 198هـ/813م زادت الحركات المعارضة، فقد كان للحرب مع أخيه الأمين دورًا كبيرًا في توطئة الأوضاع لتأليبها ضدَّ سياسة المأمون، الذي اتبع سياسةً تختلف عن بقية الخلفاء الذين سبقوه في الحكم من خلال تقريب العنصر الفارسي على العنصر العربي، والاستقرار في خراسان بداية خلافته.

ستحاول هذه الدراسة استجلاء أبرز هذه الحركات في العراق وهي حركة إبراهيم بن المهدي 202هـ/817م، والتي كان لها تأثيرات واضحة على قرارات الخليفة العباسي المأمون، كما اعتمدت الدراسة على العديد من المصادر التاريخية في توضيح ملامح هذه الحركة المعارضة. أما أهمية هذه الدراسة فتكمن في التركيز على حركة إبراهيم بن المهدي، ومعرفة أسباب قيامها، والأهداف التي قامت من أجلها، وعلى السياسة التي اتبعها الخليفة في مواجهة هذه الحركة ودوره في إعادة السيطرة على البلاد.

تتمثل مشكلة الدراسة في معرفة التأثير الذي قامت به حركة إبراهيم بن المهدي على الخلافة العباسية زمن الخليفة المأمون (198-218هـ/813-833م)، وموقف الخلافة العباسية منها، ومن خلال هذا الطرح المحوري تسعى الدراسة للإجابة على التساؤلات الفرعية التالية: كيف كانت الظروف السياسية للخلافة العباسية عند تولي المأمون الخلافة؟ ما الأسباب التي أدت إلى ظهور حركة إبراهيم بن المهدي؟ ما السياسة التي انتهجها الخليفة المأمون في مواجهة هذه الحركة؟

اعتمد الباحث في دراسته على المنهج التاريخي الوصفي التحليلي، وذلك عن طريق تتبع الأحداث التاريخية من المصادر، هذا إلى جانب اعتماده على بعض الدراسات الحديثة وتحليلها.

الظروف السياسية للخلافة العباسية عند تولي المأمون الخلافة

بويع المأمون بالخلافة وهو بمرو في بلاد خراسان[1]عام 198هـ/813م[2]، وكان عمره عندما تولَّى الخلافة ثمانيةً وعشرين سنة، ودامت خلافته عشرين عامًا، وبقي في خراسان مدة خمس سنوات تقريبًا بعد أن تمت مبايعته، وكان لهذا البقاء خارجَ العراقِ مركزِ الخلافة أثرُه في نشوء بعض المعارضات السياسية [3].

ولكن ما الأسباب التي أدَّت إلى مبايعة المأمون بالخلافة في بلاد خراسان؟ ولم يتم مبايعته في بغداد مركزِ الخلافة كبقية الخلفاء العباسيين؟ من أجل الإجابة على هذين السؤالين لابد من ذكر الأحداث التاريخية التي أدَّت إلى حدوث هذا الموقف الاستثنائي في العصر العباسي الأول.

تولى هارون الرشيد الخلافة عام (170-193هـ/786-808م) في الليلة التي مات فيها الخليفة الهادي، وكان عمره أثناء توليه الخلافة اثنين وعشرين سنة[4]. يعد هارون الرشيد من أكثر الخلفاء العباسيين شهرة، لدرجة وصول شهرته إلى المجتمع الغربي، وقد حاول بعض ملوك أوروبا التقرب إليه لاكتساب صداقته، واعتبر من أجل ملوك الأرض، وله نظرة في العلم والأدب[5].

[1] ـ خراسان: بمدلولها الواسع تضم كل بلاد ما وراء النهر التي تقع في شمال الشرقي، وكانت حدودها الخارجية صحراء الصين والبامير من ناحية آسيا الوسطى. للمزيد من المعلومات أنظر: ليسترينج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس، وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، 1954م، ص423.

[2] ـ ابن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط العصفري (ت240هـ/854م)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط2، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 1985م، ص468؛ اليعقوبي، احمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت282هـ/895م)، تاريخ اليعقوبي، ج2، ط2، دار صادر، بيروت، 2010م، ص396. الخطيب البغدادي، أبي بكر أحمد بن علي (ت463هـ/1070م)، تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها، ج11، تحقيق بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001م، ص447؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت748هـ/1347م) ،سير أعلام النبلاء، ج10، تحقيق علي أبو زيد ط11، مؤسسة الرسالة، بيروت، عام 1996م، ص282.

[3] ـ ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت711هـ/1312م)، مختصر تاريخ دمشق، ج3، تحقيق رياض عبدالحميد مراد، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، 1984م، ص111.

[4] ـ ابن خياط، تاريخ خليفة، ص447؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص407؛ الطبري، محمد بن جرير (ت310هـ/923م)، تاريخ الرسل والملوك، ج8، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1966م، ص230؛ ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد الجزري (ت630هـ/1233م)، الكامل في التاريخ، ج5، تحقيق عبدالسلام التدميري، ط5، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م، ص273.

[5] ـ القلقشندي، أحمد بن عبد الله (ت821هـ/1418م)، مآثر الأناقة في معالم الخلافة، ج1، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، عالم الكتب، بيروت، (ب. ت)، ص194؛ جلوب، جون، إمبراطورية العرب، ترجمة عادل حامد محمد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2014م، ص395.

لم تكن قرارات الخليفة هارون الرشيد جميعها صائبة، فقد ارتكب خطأً كبيرًا فيما يتعلق بموضوع ولاية العهد، حيث قام في عام 175هـ/792م بمبايعة ابنه محمد، ولقبه بالأمين، وكان له من العمر خمس سنين[6]، وفي عام 182هـ/798م بايع ابنه عبدالله، وولاه خراسان وما يتصل بها وسماه المأمون[7]، وهكذا بدأت بوادر انقسام البيت العباسي من بعده، وفي عام 193هـ/807م توفي الخليفة هارون الرشيد، ودفن في طرسوس بعد أن كان خارجًا لإخماد إحدى الحركات المعارضة لسياسته [8].

الجدير بالذكر أن الرشيد استخلف على بغداد ابنه الأمين قبل خروجه، وذهب المأمون معه بطلب من الفضل بن سهل[9]، وقد امتنع في بادئ الأمر، ثم وافق على اصطحابه، وأمره بالذهاب إلى خراسان، وبذلك افترق الأمين والمأمون، ولم يكن بينهما لقاء مرة أخرى [10].

ترك الرشيد بوفاته مشكلة كبيرة بسبب ما قام به في ولاية العهد، فظهر في الساحة السياسية للدولة العباسية حزبان، هما:

-الحزب العربي: يتمثل بالخليفة الأمين، ومركزه بغداد بمساندة وزيره الفضل بن الربيع[11] الذي كان يريد أن يحافظ على مركزه في الدولة، وأن لا يتولى المأمون الخلافة من بعد الأمين[12].

-الحزب الفارسي: يتمثل بالمأمون، ومركزه في خراسان مرو، ووزيره الفضل بن سهل الذي كان يهدف إلى ما أشار إليه الجهشياري بأن يحتال بدهائه، ويحول الحكم فارسيًا[13].

خاض هذان الحزبان حربًا دامت قرابة الخمس سنوات (193-198هـ/810-813م) ، وانتهت الحرب بمقتل الأمين عام 198هـ/813م[14].

أدَّت الحرب بين الأمين والمأمون إلى تدهور الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية للخلافة العباسية في العراق، وخصوصا في بغداد مركز الخلافة.

أما الجوانب الاقتصادية فقد انهارت؛ لأن الأمين استنزف خزينة الدولة في تجهيز الجيوش التي هُزمت بشكل متوالي أمام قادة المأمون، وكذلك ألقى الحصار الذي فرضته قوات المأمون على بغداد بظلاله على الأنشطة الاقتصادية، فقد منع التُّجار من دخول بغداد، ودمرت المباني والمحلات التجارية؛ بسبب استخدام المنجنيق[15] من قبل القوات المحاصرة لبغداد؛ مما اضطر عددًا كبيرًا من سكان بغداد إلى تسليم أنفسهم إلى جيش المأمون، حتى أن المرأة قدمت ما لديها من حلي لتستأمن نفسها وأهلها [16].

أما من الناحية الاجتماعية تأثرت البنية السكانية في بغداد، وهاجر عدد كبير من سكانها إلى الحج، وهي ذريعة اتخذها هؤلاء الناس للابتعاد عن الحرب والدمار؛ فنقص عدد السكان في بغداد، وخاصة طبقة الأغنياء التي نهبت أموالها؛ نتيجة لنفاد خزينة الأمين، والذي جعل أصحابه يقومون بنهب الناس في منازلهم ليلا ونهارا[17].

قاست بغداد هذه المدينة العظمى، ودرة تاج الخلافة العباسية قبل خلافة المأمون ما لم يكن يخطر ببال أحد من الهدم والتحريق، وسفك الدماء، وانتشار الجوع، وانحلال عقد الأمن[18].

وهكذا تولَّى المأمون الخلافة في ظروف سياسية صعبة، فكان عليه مواجهة هذه الظروف والتفوق عليها، واتخاذ المناسب لها، خصوصا أن حركات المعارضة السياسية بدأت بالظهور في العراق، والأقاليم الأخرى التابعة للخلافة بشكل متتابع.

---

[6] ـ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص408؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج8، ص240؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص288؛ ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن الأشبيلي (ت808هـ/1406م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج3، تحقيق خليل شحادة، وسهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2000م، ص274.

[7] ـ الطبري، تاريخ الرسل، ج8، ص269؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع البصروي الدمشقي القرشي (ت774هـ/1373م)، البداية والنهاية، ج13، تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان العربي، السعودية، 1998م، ص614.

[8] ـ ابن خياط، تاريخ خليفة، ص460؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص430؛ الطبري، التاريخ الرسل، ج8، ص346؛ مسكوية، علي بن أحمد بن محمد (ت421هـ/1031م)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج3، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ص268؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج16، ص17؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص383؛ ابن كثير، البداية، ج14، ص26.

[9] ـ الفضل بن سهل: أبو العباس الفضل بن سهل بن عبد الله السرخسي، أخو الحسن بن سهل، أسلم أبوهما على يد الخليفة المهدي، وأسلم الفضل سنة مائة وتسعين للهجرة على يد المأمون. مات الفضل عام مأتيين وأثنين للهجرة في حمام سرخس. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج14، ص298.

[10] ـ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص387.

[11] ـ الفضل بن الربيع: هو الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة، وأسمه كيسان، مولى عثمان بن عفان، تميز بصفات أخلاقية كالحزم والعفو ورأي السديد، عمل حاجب لهارون الرشيد والأمين، ولد عام 140هـ/757م، وتوفي 208هـ/823م. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج14، ص303؛ الذهبي، سير، ج10، ص109.

[12] ـ الطبري، تاريخ الرسل، ج8، ص374.

[13] ـ الجهشياري، عبدالله بن عبدوس الكوفي (ت331هـ/942م)، الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبدالحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، 1938م، ص313.

[14] ـ الطبري، تاريخ الرسل، ج8، ص499؛ ابن كثير، البداية، ج14، ص102.

[15] ـ المنجنيق: مادة: منأ: تقال: المنجنيق والنون الزائدة، والمنجنوق، والمنجليق، وهو: لفظ أصلها فارسي معرب، وهي آله حربية. معلوف، لويس، المنجد في اللغة والأدب والعلوم، ط19، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1956م، ص776.

[16] ـ الطبري، تاريخ الرسل، ج8، ص456؛ مجهول، العيون، ج3، ص332؛ ابن الاثير، الكامل، ج5، ص442.

[17] ـ الطبري، تاريخ الرسل، ج8، ص463؛ المسعودي، مروج، ج3، ص336.

[18] - الهدابية، بدرية ناصر، الحرب الأهلية في الدولة العباسية: نشأتها وتطورها وآثارها، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، مسقط، 2011م، ص ص178 210.

حركة إبراهيم بن المهدي 202هـ/817م

في عام 201هـ/816م جعل المأمون علي بن موسى الرضا[19] وليًا للعهد[20]، ولقَّبه بالرضا، وقام بكتابة ذلك إلى ولاته على الأقاليم. وتعتبر هذه البيعة هي السبب الرئيس في ظهور معارضة البيت العباسي لسياسة المأمون، وخلعه من الخلافة[21].

في أواخر عام 201هـ/816م وصل خبر البيعة إلى العراق، وكان وقعه مثل الصاعقة على بني العباس؛ وذلك لأن الخليفة المأمون قلب تقاليد السياسة العباسية المعتادة رأسًا على عقب، فاختلفت ردَّات فعل الأقاليم العراقية على هذه البيعة [22].

عندما وصل خبر البيعة إلى بغداد انقسم أهلها إلى قسمين، قسم وافق على البيعة، وقسم آخر عارضها بشدة، واتَّهم القسمُ المعارضُ الفضلَ بن سهل في ذلك بأنها إحدى دسائسه، وقالوا: لا تخرج الخلافة من بني العباس، فاجتمع القسم المعارض في بغداد، وتزعَّم أمرَهم إبراهيم والمنصور أبناء المهدي، وقرَّروا خلع المأمون من الخلافة ومبايعة إبراهيم بن المهدي بها في شهر محرم عام 202هـ/817م، ولُقِّب بالمبارك[23]، وعند اليعقوبي بالمرضيِّ[24]، إلا أن ابن تغري بردي جاء بلقب آخر هو المبارَك المنير[25].

إبراهيم بن المهدي

هو "أبو إسحاق إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن العباس بن عبدالمطلب الهاشمي، أخو الخليفة هارون الرشيد"[26]. أمه تسمى شكله بن شاه أفرند من ربات الفصاحة والبلاغة، وكانت سوداء اللون، حُمِلت إلى الخليفة أبي جعفر المنصور في بغداد عندما كانت صغيرة، فأرسلها إلى الطائف، فنشأت هناك وتفصَّحت وتعلمت. فلما كبُرت أُعيدَت إلى مركز الخلافة، فرآها الخليفة المهدي فأعجبته، فقرر الزواج منها، وأنجبت إبراهيم[27]، وكانت ولادته في غرة ذي القعدة سنة 162هـ/778م، وتوفي في التاسع من رمضان سنة 224هـ/838م [28].

من صفات إبراهيم بأنه أسود اللون عظيم الجثة، يسمى بالتنين للونه وضخامته، كان من أحسن الناس في الغناء وأشهرهم به، وتميز بغزارة الأدب وحسن الندامة، وسخاء الكف، ولم يُر في أولاد الخلفاء قبله أفصح منه لسانا [29].

إبراهيم بن المهدي يمارس سلطته كخليفة.

ما إن تمت البيعة إلى إبراهيم بن المهدي حتى بدأ يسيطر على الأقاليم القريبة من بغداد، فضم مناطق عديدة من العراق، وقام تجهيز قواته استعدادًا للحرب المقبلة من أجل الدفاع عن حقوق العباسيين في الخلافة، ورفعَ أنصارُ إبراهيم شعارَ: "يا إبراهيم يا منصور، لا طاعة لنا للمأمون"[30]. الجدير بالذكر بأنه ما إن انتشر خبر خلع المأمون وتولي إبراهيم بن المهدي الخلافة حتى ظهر الفضل بن الربيع الذي كان مختفيا معتقدا أن إبراهيم بن المهدي سيستمر في الخلافة، وينتهي أمر المأمون الذي كان على عداوة معه، ولكن الفضل اختفى بانتهاء خلافة إبراهيم بن المهدي [31].

واجه إبراهيم بن المهدي في بداية خلافته مشكلة مع الجند، فقد سخطوا عليه وثاروا ضده؛ لأنه وعدهم برواتب ستة أشهر فماطلهم بها، وأعطاهم مائتي درهم لكل جندي، وكتب إليهم بتعويض من بعض أراضي بغداد ، فخرجوا لأخذ تعويضهم، وفي طريقهم قاموا بالعبث والتخريب، وكانوا لا يمرون على شيء في الطريق إلا انتهبوه[32].

وبعد تولي إبراهيم بن المهدي الخلافة، وتخلصه من مشكلة الجند، واجهته بعض الاضطرابات في العراق بسبب تدهور الأوضاع السياسية؛ نتيجة البيعة بولاية العهد إلى علي الرضا، وما حدث من انقسامات في العراق من جرَّائها، كما أن إبراهيم تنقصه الكفاية والقدرة القيادية، فلم يستطع القيام بأعمال الدولة، ومن أبرز الاضطرابات هي:

أ- حركة المطوعة.

حركة المطوعة وجدت في بغداد من قبل خلع المأمون ومبايعة إبراهيم بن المهدي بالخلافة. لم يكن قيام هذه الحركة سياسيا بداية أمرها، بل

[19] ـ ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت681هـ/1283م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج3، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1978م، ص269.
[20] ـ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص448؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج8، ص554؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص484.
[21] ـ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص448؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج8، ص554.
[22] ـ الدوري، عبد العزيز، العصر العباسي الأول دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009م، ص214.
[23] ـ الطبري، تاريخ الرسل، ج8، ص557؛ مسكوية، تجارب، ج3، ص370؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص484.
[24] ـ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص448.
[25] ـ ابن تغري بردي، يوسف الاتابكي، (874هـ/1469م) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج2، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، (د.ت)، ص172.
[26] ـ الاصفهاني، أبي الفرج علي بن الحسين بن محمد (ت356هـ/966م)، الأغاني، ج10، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1938م، ص95؛ ابن خلكان، وفيات، ج1، ص39.
[27] ـ ابن ماكولا، علي بن هبة الله بن علي بن جعفر (ت475هـ/1083م)، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، ج1، ط2، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1993م، ص518.
[28] ـ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج7، ص68؛ ابن خلكان، وفيات، ج1، ص39.
[29] ـ ابن خلكان، وفيات، ج1، ص40؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج4، ص126.
[30] ـ الطبري، تاريخ الرسل، ج8، ص557؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص496.
[31] ـ الجهشياري، الوزراء، ص302؛ ابن الطقطقا، محمد بن علي بن محمد العلوي الفخري (ت709هـ/1309م)، الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص219.
[32] ـ الطبري، تاريخ الرسل، ج8، ص557؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص496.

لحفظ النظام والآداب والأمن العام في بغداد بعد أن عمَّت الفوضى فيها، وقد برزت هذه الحركة كنتيجة لفقدان القدرة على استتباب الأمن بعد قرار المأمون البقاء في مرو، واختيار الحسن بن سهل[33] واليا على العراق والذي لم يكن ذا كفاءة لهذا المنصب[34].

قام العيارون[35] والشطار[36] بالأعمال التخريبية في البلاد، وأخذوا الغلمان وممتلكات الناس علانية بدون وجه حق، حتى أنهم كانوا يأخذون الابن أمام أبيه ولا يتمكن من إيقافهم، وأخذوا أموال أهل القرى غصبًا، وقام جماعة منهم بالذهاب إلى قرية قطربل[37]، فانتهبوا أملاك الناس فيها علانية، وأخذوا بضائع السكان وممتلكاتهم الخاصة كالذهب، والفضة، والمواشي، وغيرها، فأدخلوها بغداد، وقاموا بالتجارة بها في الأسواق[38].

أثارت هذه الأعمال غضب السكان، فاجتمعوا مع بعضهم من أجل إيقافهم، واختاروا شخصًا يُدعَى خالد الدرويش قائدًا للحركة، وكان شعار حركته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، معنى ذلك أن هذه الحركة في أول أمرها عبارة عن دعوة إلى المبدأ الإسلامي الشهير: وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأتباع نهج الشريعة المحمدية. قاتل خالد الدرويش ومَنْ معه العيارين والشطارَ فانتصر عليهم، وَأَسَر بعضهم، ورفع من أَسَرَه إلى الوالي الذي لم يغيِّر شيئا في أمرهم. ومن سياسة خالد الدرويش في هذه الحركة أنه لا يرى أن من حقه الاعتداء على أملاك السلطان وما يتعلق بممتلكات الخلافة[39].

هدفت حركة المطوعة بقيادة خالد الدرويش إلى تحسين الأحوال الاجتماعية للسكان، والاطمئنان على أحوال الناس العامة، والقضاء على أعمال العيارين والشطار الذين عاثوا فسادًا في عدد من مناطق العراق[40]، ويدلُّ على ذلك قولُه: "لا أعيب على السلطان شيئًا، ولا أقاتله ولا آمره بشيء ولا أنهاه"[41]. يشير خالد إلى أنه لا شأن له بالسياسة، ولا يهتمُّ إلا بالجوانب الاجتماعية، وهدفُه من ذلك الإصلاح الاجتماعي لا أكثر، ولكن هذه الحركة أخذت الإطار السياسي بعد انضمام سهل بن سلامة الأنصاري إليها.

ب- حركة سهل بن سلامة الأنصاري.

انظم سهل بن سلامة الأنصاري[42] لحركة المطوعة عام 202هـ/817م في مواجهة الشطار والعيارين، ولكنه لم يستمر مع خالد الدرويش في الشراكة نفسها، فانفصل عنه بسبب اختلافهم في الأفكار، فقد كان سهل بن سلامة يُجبِر الناس على الخفارة[43]، وكان يدعو إلى قتال كل من يخالفه كائنا من كان حتى لو كان حاكم، وهذا لا يتواءم مع أفكار خالد [44].

يتبين من خلال شعار الدعوة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند سهل بن سلامة أنها تقوم على القوة؛ بمعنى أنه من لا يطيع رأيه قاتله، وأنه يسمح لنفسه الخروج على السلطان بحجة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وانضم إليه عدد من القادة من أبرزهم: الفضل بن الربيع وزير الخليفة الأمين سابقًا، وخُزَيمَة بن خازم، وهذا الأمر أعطى لحركة سهل بن سلامة الطابعَ السياسيَّ بإطار ديني[45].

جعل سهل بن سلامة لنفسه ديوانا يسجل فيه أسماء من انظموا إليه، كما حمل معه مصفحًا مظهرًا بذلك الاتجاه الديني لدعوته، واجتمع له مناصرون كُثُر من أهل بغداد، وكان سهل يبني على باب كل من أجابه برجًا، ويضع السلاح والمصحف على البرج؛ من أجل إعلام الناس أنه في خفارته وتحت حمايته، واستمر على ذلك حتى بلغ باب الشام، وقاتل العيَّارين والشطار، وهزمهم[46].

كان سهل يصِف ولاةَ وعمال إبراهيمَ بنِ المهدي بأقبحِ الصفات، ويحرض العامة عليهم لقتالهم؛ مما آثار حفيظة العمالِ، فأمر إبراهيم قائده عيسى بن محمد بن أبي خالد بالقبض عليه.

---

[33] ـ الحسن بن سهل: أبو محمد الحسن بن سهل بن عبد الله السرخسي، تولى وزارة المأمون بعد أخيه الفضل، وكان الحسن عالي الهمة كثير العطاء للشعراء، وفي آخر أيامه أصابه مرض شديد فهاج من مرضه وتغير عقله، حتى حبس في منزله إلى حين وفاته عام 236هـ/850م. ابن خلكان، وفيات، ج2، ص120.

[34] ـ عبدالعال، محمد جابر، حركات الشيعة المتطرفين وأثرهم في الحياة الاجتماعية والأدبية لمدن العراق إبان العصر العباسي الأول، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، 1954م، ص327.

[35] ـ العيارين: مادة: العبر، والعيارين جمع مفردها: عيار، والعيار هو: الشخص كثير التجوال والتطواف، بلا عمل يخلي نفسه هواها. معلوف، لويس، المنجد في اللغة والأدب والعلوم، ط19، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1956م، ص540.

[36] ـ الشطار: مادة: شطر، والشطار جمع مفردها: شاطر هو: الشخص الذي يتصف بالدهاء والخباثة. معلوف، المنجد، ص387.

[37] ـ قطربل: هي كلمة أعجمية، وهي: قرية بين بغداد وعكبرا ينسب إليها الخمر، وعرفت بأنها منتزه للبطالين، وحانة للخمارين، وقد أكثر الشعراء من ذكرها. الحموي، شهاب الدين ياقوت (ت626هـ/1228م)، معجم البلدان، ج4، دار صادر، بيروت، 1977م، ص471.

[38] ـ الطبري، تاريخ الرسل، ج8، ص551؛ مسكوية، تجارب، ج3، ص363؛ ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص309.

[39] ـ الطبري، تاريخ الرسل، ج8، ص552؛ مسكوية، تجارب، ج3، ص363؛ ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص309.

[40] ـ عبد العال، حركات الشيعة، ص329.

[41] ـ الطبري، تاريخ الرسل، ج8، ص552.

[42] ـ سهل بن سلامة الأنصاري: رجل أصله من خراسان يكنى بأبي حاتم، وهو من أهل الحريبة، أنضم إلى خالد الدرويش في حركة المطوعة، ولكنه أختلف معه في سياسة الحركة، ودخل في صراع مع أنصار إبراهيم بن المهدي حتى تم القبض عليه. الطبري، تاريخ الرسل، ج8، ص551.

[43] ـ الخفارة: العهد والأمان، كانت الخفارة يستخدمها أفراد حركة المطوعة، وهي التي بسببها تخالف سهل بن سلامة مع خالد الدرويش، ويقصد بها: أن الرجل يأتي إلى من له دار أو بستان أو تجارة، فيقول له: أنت في خفرتي لا يتعرض أحد لمالك، وأنا أدفع عنك على من أرادك بسوء، ولي في عنقك كل شهر كذا وكذا درهما، فيعطيه مقابل الدفاع عنه. مسكوية، تجارب، ج3، ص364.

[44] ـ الطبري، تاريخ الرسل، ج8، ص552؛ مسكوية، تجارب، ج3، ص365؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص483.

[45] ـ عبدالعال، حركات الشيعة، ص331.

[46] ـ الطبري، تاريخ الرسل، ج8، ص552.

من الجدير بالذكر أن عيسى أحد أكبر المساهمين في استمرار إبراهيم في مركز الخلافة، فقد تغلب على الفتن التي تقوم ضده، وقاتل أتباع الحسن بن سهل في العراق[47]. قام عيسى بن محمد بالبحث عن سهل بن سلامة، ووضع مكافآت مالية على من يدلُّه على موقع منزله، فخذل سهلًا الناسُ القريبون منه، وأخبروا بمكان منزله، فقبض عليه، وحملهُ إلى مركز الخلافة[48].

طلب إبراهيم من سهل بن سلامة أن يخرج إلى الناس ويعلن بطلان دعوته، فأُخرجه عمال إبراهيم للناس، وقال لهم: "قد علمتم ما كنت أدعوكم إليه فأني أدعوكم إليه الساعة"، يوضح سهل هنا أنه ما يزال على دعوته، ولن يغيِّر من أفكاره؛ نتيجة لذلك ضربوه وشتموه وسجن، وأشيع أنَّه قُتِل خوفًا لئلَّا يعلم مناصروه مكانه فيخرجوه، وكانت مدة حركته قرابة إحدى عشر شهراً [49].

ج - حركة العباس بن موسى (201-202هـ/816-817م)

وصل خبر البيعة إلى والي الكوفة العباس بن موسى بن جعفر بن إبراهيم[50]، وبدأ يأخذ البيعة بولاية العهد إلى علي الرضا. الجدير بالذكر أن تولية العباس بن موسى أخو علي بن موسى الرضا على الكوفة لم تكن من قبل الرضا، وليس له أي علاقة في تقريب أخيه في الولاية، بل هي من أمهات أفكار المأمون؛ لأن الرضا كان من شروط موافقته على ولاية العهد عدم التدخل في العزل والتولية والأمر والنهي في شؤون السياسية، فقال الرضا في ذلك: "إني أدخل في ولاية العهد على أن لا آمر ولا أنهى ولا أقضي ولا أغيِّر شيئًا مما هو قائم وتعفيني من ذلك كله؛ فأجابه المأمون"[51]، وهذا الشرط دليل واضح على عدم تدخل الرضا في تولية أخيه العباس على الكوفة، وهذا الأمر ينطبق على إبراهيم بن موسى الذي أصبح واليًا على اليمن، فقد عُرِفَ فيها بالجزار؛ لكثرة من قتل من أهلها، كما أمره المأمون بالحج بالناس عام 202هـ/817م [52].

الواضح من تولية إخوة الرضا على اليمن والكوفة لكثرة العلويين فيها، ورغبة المأمون في كسب ولائهم ودخولهم في طاعته، ومحاولة منه في تفريق العلويين وتشتيت قوتهم بين مؤيد ومعارض للبيعة، وبالفعل نجح المأمون في ذلك.

أما جواب أهل الكوفة لدعوة العباس بن موسى، فقد استجاب له عدد كبير من أهلها، واعترض آخرون منهم على الدعوة؛ معتقدين أنهم أحق بالخلافة من المأمون، وفي شك من صدق نواياه بالبيعة بولاية العهد إلى علي الرضا، وقد قال الغلاة من الشيعة للعباس: "إن كنت تدعو للمأمون ثم من بعده لأخيك فلا حاجة لنا في دعوتك، وإن كنت تدعو إلى أخيك وبعض أهل بيتك وإلى نفسك أجبناك"[53]. يُفهم مما قاله غلاة الشيعة أنَّه لا فرق عندهم فيمن يتولى الخلافة من آل علي، فهم على استعداد لطاعته ومساندته، ولكن مشكلتهم في مركز الخلافة الذي في قبضة المأمون فهو من بني العباس، وهم يرون أنهم أحق بالخلافة منهم.

وقد أجابهم العباس بأنه يدعو للمأمون كخليفة وإلى ولي عهده الجديد الإمام علي الرضا، ووقف الشيعة من أهل الكوفة الذين اعترضوا على البيعة لعلي الرضا ضد العباس بن موسى منحازين إلى الطرف الموالي لإبراهيم بن المهدي[54].

أرسل إبراهيم بن المهدي قوة عسكرية بقيادة سعيد بن الساجور عام 202هـ/816م إلى الكوفة مستغلا الخلاف فيها، فخرج لمواجهتهم علي بن محمد بن جعفر[55]، وأبو عبد الله أخو أبي السرايا اللذان قد استجابا لدعوة العباس بن موسى، ودار بينهم قتال شديد، وقام الطرفان بأعمال تخريبيه في الكوفة؛ فهلك الزرع وخربت المنازل، وأكثروا الحرق في البلاد، فلما رأى رؤساء الكوفة ذلك، طلبوا من قائد الجيش العباسي سعيد بن الساجور الأمان للعباس بن موسى وأتباعه على أن يخرجوا من الكوفة؛ فأجابهم إلى ذلك فخرج العباس ومن معه من الكوفة[56].

فلما رأى سعيد بن الساجور أن الكوفة خلت من العباس بن موسى وأصحابه؛ ذهب سعيد مع بعض أصحابه إلى الحيرة، فاستغل العباس بن موسى خروجهم منها؛ فعادوا إلى الكوفة فهاجم هو ومن معه على بعض أنصار إبراهيم بن المهدي فقتلوهم، فأرسل أهل الكوفة إلى سعيد بن الساجور يخبرونه بنقض العباس بن موسى العهد، فعاد سعيد وأصحابه من الحيرة إلى الكوفة، وقتلوا من وجدوا من أصحاب العباس [57].

---

[47] ـ مسكوية، تجارب، ج3، ص372.
[48] ـ الطبري، تاريخ الرسل، ج8، ص564؛ مسكوية، تجارب، ج3، ص372.
[49] ـ الطبري، تاريخ الرسل، ج8، ص564؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص499؛ ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص309.
[50] ـ العباس بن موسى بن جعفر بن إبراهيم الكاظم. البخاري، أبي نصر سهل بن عبد الله بن داود بن سليمان (ت341هـ/952م)، سر السلسلة العلوية، تحقيق السيد محمد الصادق، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، 1963م، ص43.
[51] ـ القمي، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى (ت381هـ/991م)، عيون أخبار الرضا، ج2 المطبعة الحيدرية، النجف، 1970م، ص161.
[52] ـ خياط، تاريخ خليفة، ص471.
[53] ـ الطبري، تاريخ الرسل، ج8، ص560؛ مسكوية، تجارب، ج3، ص371؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص497.
[54] ـ مسكوية، تجارب، ج3، ص371؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص497.
[55] ـ علي بن محمد بن جعفر الصادق، كان من المستجيبين لدعوة العباس بن موسى لولاية العهد إلى علي الرضا، وخاض حروب ضد أنصار إبراهيم بن المهدي، توفي علي في بغداد، ودفن فيها. البخاري، سر السلسلة، ص45.
[56 - 57] ـ الطبري، تاريخ الرسل، ج8، ص560؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص498؛ ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص310.

يلاحظ من الأحداث في الكوفة بعض المناوشات العسكرية بين القيادة العباسية الجديدة التي ترأسها إبراهيم بن المهدي وإلى جانبه من اعترض من أهل الكوفة على البيعة لعلي الرضا، ضد المنحازين إلى صف الوالي العباس بن موسى المؤيِّد للبيعة لعلي الرضا، وهذه إحدى طموحات الخليفة المأمون من بيعته بولاية العهد إلى علي الرضا بتفريق وحدتهم، حيث انقسم البيت العلوي بين مؤيد ومعارض في موضوع البيعة.

كما يلاحظ الباحث عدم تدخل الحسن بن سهل في هذا الصراع وهو الوالي على العراق من قبل الخليفة المأمون، وكان بإمكان الحسن أن يقدِّم المساعدة للعباس بن موسى، ولكنه لم يفعل مكتفيًا بمتابعة الأحداث فقط، وقد أشار الطبري إلى ذلك بقوله: "وكان يظهر أن الحسن يوجِّه إليه قومًا من قِبَله مددًا فلم يأتِ منهم أحد"[58]، وذكر ابن الأثير أنه قد "استعمل الحسن على الكوفة العباس بن موسى، وأمره أن يدعوا لأخية بولاية العهد، وإعانة بمائة ألف درهم، وقال له: قاتل عن أخيك، فإن أهل الكوفة يجيبونك إلى ذلك، وأنا معك"[59].

كما أن العباس بن موسى لم يجد مساندة كبيرة من أهل الكوفة في مدة حربه ضد أنصار إبراهيم بن المهدي والمعارضين بالبيعة إلى علي الرضا، فقد أصابهم الملل من القتال المتواصل؛ لأنهم قبل مدة ليست بالبعيدة كانوا مناصرين لأبي السرايا وابن طباطبا[60]، ومما يدلُّ على استيائهم من الحروب والقتال، طلبُهم من العباس الخروج من الكوفة بقولهم: "إن عامة من معك غوغاء، فاخرج من بين أظهرنا لا حاجة لنا فيك"[61].

يرى الباحث بأن انضمام الشيعة الغوغاء غير المنظمين مع العباس أحد أسباب عدم استمرار القوة الشيعية بقيادة العباس بن موسى، فقد أثاروا مخاوف أهل الكوفة من تخريب وتدمير؛ مما جعل أهل الكوفة يطردون العباس منها. وهكذا انتهت جهود العباس بن موسى ومن معه في الكوفة، فقد خدعوه مع بعض العلويون أمثال: علي بن محمد بن جعفر بالحيلة التي قام بها المأمون بتولية علي الرضا بولاية العهد، في حين أدرك غلاة الشيعة أنها مكيدة، وليس من المعقول أن يتنازل المأمون بالخلافة إلى البيت العلوي بهذه السهولة.

موقف الخليفة المأمون اتجاه معارضة البيت العباسي

نتيجة لضعف إبراهيم بن المهدي في تدبير شؤون الخلافة، وقلة فطنته في الحكم، حيث وصفه بروكلمان بأنه الموسيقي الهاوي، ولا يمتلك ما يؤهله ليكون خليفة للمسلمين[62]، فقد ظهر العبث في العراق وازدادت الفوضى، وحاول جاهدا إلى أن يعيد الأمن والسلام إلى أراضيها، والتقت جيوشه بجيوش العباسيين الموالين للمأمون، وحلت الهزائم بجيوش إبراهيم[63]، ووصف المؤرخ الذهبي هذه الأحداث بقوله: "واختبط العراق"[64].

في خضم الأحداث الجارية في العراق كان الخليفة المأمون في مرو بعيدًا عن بغداد لا يعلم الكثير عن الاضطرابات التي تحدث فيها، فقد حجب عنه الفضل بن سهل الأخبار التي تصل من بغداد، وألحق العقوبة بكل من حاول إخباره بخبر ما؛ ليسيطر على الأمور وليصرفها حسب سياسته، ليس هذا فحسب، بل قام بتشويه الأخبار حتى أنه فسر عملية المبايعة بالخلافة إلى إبراهيم بن المهدي بأنهم اختاروه أميرا يأمر بينهم لا خليفة[65].

اعتمد الفضل بن سهل على قدرات أخيه الحسن في تحطيم المعارضة في العراق، حيث تمكن من هزيمة المعارضة العلوية (حركة أبي السرايا) ، ولكنه لم يتمكن عن مواجهة ردة فعل أهل بغداد بعدما وصل إليهم خبر البيعة بولاية العهد إلى علي الرضا، فلم يخبر الفضل الخليفة بردود الفعل في العراق، وتحجج على المأمون بأن إبراهيم بن المهدي مفوض من قبل الخليفة بصفته أميرا في بغداد وليس خليفة، على أن الذي أربك خطط الفضل بن سهل هو علي الرضا الذي لم يأبه بالحاجز السياسي الحديدي الذي وضعه الفضل على المأمون، ولم يهتم بتهديدات الفضل، فأخبر الخليفة المأمون بكذب الفضل وخداعه له، وأعلمه بما قيل عنه من قبل أهل بغداد، حيث وصف بالجنون والسحر[66].

تفاجأ المأمون بما وصل إليه من أخبار العراق من خلال علي الرضا، واستفسر من أقربائه عن صح الأخبار؛ فأكدوا الخبر، وانتقدوا السياسة التي اتبعها الفضل بن سهل في كتم الأخبار، وأشاروا إلى اغتيال القائد هرثمة بن أعين الذي لم يرتكب ذنبا سوى محاولته حماية الدولة من

[58] ـ الطبري، تاريخ الرسل، ج8، ص560.
[59] ـ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص497.
[60] السعدي، عبدالعزيز عبدالله، حركات المعارضة السياسية ضد الدولة العباسية في العراق زمن الخليفة المأمون، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة السلطان قابوس، مسقط، 2021م، ص57.
[61] ـ الطبري، تاريخ الرسل، ج8، ص561.
[62] ـ بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس، دار العلم للملايين، بيروت، 1984م، ص199.
[63] ـ الطبري، تاريخ الرسل، ج8، ص561؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص498.
[64] ـ الذهبي، السير، ج10 ص6.
[65] ـ الطبري، تاريخ الرسل، ج8، ص564.
[66] ـ الطبري، تاريخ الرسل، ج8، ص564؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص500؛ ابن كثير، البداية، ج14، ص123.

غدر الفضل بن سهل، وعاتبوا المأمون بموافقته على اقتراح الفضل بنفي طاهر بن الحسين في الرقة، في الوقت الذي كان بالإمكان الاستفادة من خبرته في تنظيم الأوضاع في العراق خاصة، كما وأن طاهر يتمتع بمقدرة عسكرية وكفاءة إدارية تفوق خبرة الحسن بن سهل وكفاءته، والذي كان وجوده عاملا مساعدا لقيام الحركات المعارضة [67].

لما علم الفضل بن سهل أن أخبار العراق وصلت إلي الخليفة، استشاط غضبًا وقام بتعذيب الرجال الذين أكدوا خبر خلع المأمون وتعيين إبراهيم بن المهدي بصفته خليفة، فزج بعضهم في السجن، وضرب البعض بالسياط، وتوعد الإمام علي الرضا قائلًا: "عليه أن يداري عن نفسه"[68].

ويشير الثعالبي أن الذي أخبر الخليفة المأمون بخبر خلعه من الخلافة هي جارية من جواري المأمون، حيث وضعت مطوية كتب فيها عن الأحداث التي كان الخليفة لا يعلم بها شيء، ووضعتها داخل ثيابه، فلما أراد ارتداء ملابسه سقطت المطوية، فقرأها المأمون وطلب من الفضل تفسيرًا لما قرأ، فقال له: أردت أن أكفيك هذا الأمر ثم أعلمك به، فلم يقبل عذره، وأمر صاحب البريد بأن لا يحجب عنه شيئا من أخبار البلاد[69].

تبدو رواية الثعالبي ضعيفة نسبيًا كونها لم ترد في المصادر الأخرى، وأن أغلب المصادر اتفقت بأن علي الرضا هو الذي أخبر المأمون بالأحداث الغائبة عنه.

عودة الخليفة المأمون إلى بغداد عام 202هـ/817م

قرر الخليفة العودة إلى بغداد بعدما تحقق من صحة ما حدث، وتنبه لسياسة الفضل بن سهل، كما تنبه الرشيد قبله لسياسة البرامكة، وبدأ رحلته عام 202هـ/817م [70]، ولكنه لم يصل بغداد إلا عام 204هـ/819م، فكأنه قضى قرابة عامين في الطريق من مرو إلى بغداد، وهذا أمر يدعو إلى التفكير والتساؤل؛ لأن مسافة الطريق بين مرو وبغداد لا يحتاج كل هذا الوقت الطويل، وكأن المأمون كان يتعمد التأخر في الطريق إلى بغداد، ويبدو بأنه قام برسم سياسة حكيمة للقضاء على الفتنة في العراق بهذا التباطؤ الشديد في الطريق؛ إذ جعل خصومه يتقاتلون مع بعضهم بعضا كما أشرنا سابقا[71] في حركة العباس بن موسى.

تمثل عودة الخليفة المأمون إلى العاصمة بغداد تغييرا جوهريا في مسار الخلافة العباسية، وهذا يعني نهاية الصبغة الفارسية التي اصطبغت بها الخلافة طوال المدة التي قضاها المأمون في مرو، والعودة إلى الأصول العربية في بغداد التي هي مركز الخلافة العباسية، وهذا ما ضايق الفضل؛ لأنها تحمل في طياتها ضياع ما كان يخطط له[72].

موقف الخليفة المأمون من الفضل بن سهل

حدثت مواقف خطيرة في مسير المأمون إلى العراق، فعند وصوله إلى سرخس[73] تخلص من الفضل بن سهل؛ إذ أمر بقتله في الحمام، وذلك في شعبان عام 202هـ/817م[74]، وأشارت بعض المصادر التاريخية[75] إلى اتهام المأمون بشكل صريح في عملية قتل الفضل بن سهل، فقد ذكرت بأن: "الذين قتلوا الفضل من حشم المأمون، وهم أربعة أشخاص: غالب المسعودي، وقسطنطين الرومي، وفرج الدليمي، وموفق الصقلي". خصص المأمون مكافأة مالية قدرها عشرة آلاف دينار لمن يقبض عليهم، فتم القبض عليهم، وقالوا للمأمون: أنت من أمرتنا بقتله، وأمر المأمون بضرب أعناقهم، وذكر ابن الطقطقا رد المأمون على الاتهامات التي طالته بقتل الفضل من قبل القاتلين، فقال لهم: "أنا أقتلكم بإقراركم، وأما ما ادعيتموه علي من أني أمرتكم بذلك فدعوى ليس لها بينة"[76]، فأخذ رؤوسهم وأرسلها إلى الحسن بن سهل؛ ليبعد الأنظار عنه من قبل الخراسانيين؛ وكي لا يخسرهم[77]، ويصف الإسكافي هذا الحدث: "أعمل المأمون الفكرة في قتل الفضل بن سهل على توقٍّ أي (حذر) لمكانة أخيه الحسن، وكثرة من معه من الرجال الموالين للمأمون"[78].

إن الظروف القهرية التي واجهها المأمون جعلته يقتل الفضل بن سهل غدرًا، وأنكر ذلك حتى لا يفقد ولاء أهل خراسان له، أمثال: الحسن بن سهل، والرجال الآخرين الذين كانوا في مقاومة إبراهيم بن المهدي، فخطط لفكرة الغدر مسبقا [79].

---

[67] ـ الطبري، تاريخ الرسل، ج8، ص564؛ ابن كثير، البداية، ج14، ص124؛ ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص311.
[68] ـ الطبري، تاريخ الرسل، ج8، ص565؛ مسكوية، تجارب، ج3، ص374.
[69] ـ الثعالبي، أبي منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل (ت429/1037م)، تحفة الوزراء، تحقيق حبيب علي الراوي، وابتسام الصفار، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2006م، ص98.
[70] ـ ابن خياط، تاريخ خليفة، ص471؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج8، ص564؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص499؛ ابن كثير، البداية، ج14، ص123.
[71] ـ أنظر: حركة العباس بن موسى.
[72] ـ هدارة، محمد مصطفى، المأمون الخليفة العالم، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 2000م، ص80.
[73] ـ سرخس: مدينة قديمة كبيرة من نواحي خراسان، وهي بين نيسابور ومرو في وسط الطريق، بينها وبين كل واحدة منها ست مراحل. الحموي، معجم البلدان، ج3، ص208.
[74] ـ الجهشياري، الوزراء، ص313؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج14، ص302؛ ابن خلكان، وفيات، ج4، ص44.
[75] ـ ابن خياط، تاريخ خليفة، ص471؛ ابن الطقطقا، الآداب السلطانية، ص218.
[76] ـ ابن الطقطقا، الآداب السلطانية، ص218.
[77] ـ ابن كثير، البداية، ج14، ص124.
[78] ـ الأسكافي، محمد بن عبد الله الخطيب (ت421هـ/1030م)، لطف التدبير، تحقيق أحمد عبدالباقي، مكتبة المثنى، بغداد، 1964م، ص164.
[79] ـ عرفة، ثريا حافظ، الخراسانيون ودورهم السياسي في العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك عبدالعزيز، مكة المكرمة، 1980م، ص134.

إن مقتل الفضل هو إجراء سياسي من قبل المأمون؛ من أجل إرضاء المعارضين من البيت العباسي في العراق، الساخطين من قرار البيعة بولاية العهد إلى علي الرضا، بحيث كانوا يرون أن البيعة إلى علي الرضا لم تكن لتحدث لولا تأثير الفضل بن سهل على المأمون، كما أن مقتل الفضل هو إيقاف من قبل المأمون للنزعة الفارسية المتنامية وصد لطموح الفارسي؛ ولهذا السبب بالتحديد فإن الكثير من شعراء الفرس كتبوا القصائد في رثاء الفضل بن سهل؛ لأنه اعتبر رمزا لآمالهم وطموحاتهم المستقبلية[80].

أما رأي الباحث في هذا الشأن فيميل إلى الرأي القائل بأن المتسبب في قتل الفضل هو المأمون؛ نظرا لرغبته في كسب ولاء بني العباس الذين خلعوه من الخلافة، فلم يجد المأمون طريقة لكسب ولائهم إلا بالتخلص منه، ومن الممكن القول إن مجمل التصرفات التي لوحظت على الفضل بن سهل تؤكد أن هذا الوزير الفارسي يسير وفق خطط يستهدف في نهايتها السيطرة على الدولة العباسية، وذلك على حساب الخليفة المأمون ذي الأصول الفارسية. ويوجد جانب كبير من التشابه بين نهاية أبي مسلم الخراساني[81]، والبرامكة، والفضل بن سهل، ويكمن هذا التشابة في أن كلًّا منهم أصبح مصدر خطر على الخلافة العباسية، وذلك للتطلعات التي كانوا يسعون إليها، والتي لم يكن لها أن تتحقق إلا بالقضاء على الخلافة العباسية.

مقتل الإمام علي الرضا

واصل الخليفة المأمون مسيره، فخرج من سرخس متوجها إلى العراق، فلما وصل إلى طوس[82] أقام عند قبر أبيه أياما، فحدثت مفاجأة مدوية بموت علي الرضا في أواخر شهر صفر من عام 203هـ/818م، فدفن عند قبر الرشيد، وأشارت العديد من المصادر والمراجع التاريخية بأنه مات بالسم، وقد اتهم المأمون بسمه[83]. بينما أشارت مصادر أخرى بأنه أكثر من أكل العنب الذي تسبب بوفاته [84]. يرى الباحث أنه لا يمكن الأخذ بعين الاعتبار أن الرضا مات بكثرة تناوله للعنب، فهو يدرك تمام الإدراك بأن الإكثار منه قد يضره، كما أنالمصادر التاريخية لم تذكر أن هنالك أحدًا أجبر الإمام الرضا على الإكثار من أكل العنب.

وبذلك يميل رأي الباحث مع الآراء القائلة بأن الخليفة المأمون هو المتسبب في وفاته.

دفن علي الرضا في طُوس حيث يقصد قبره اليوم من كل حدب وصوب، وتصنَّع المأمون الحزن الشديد لوفاة الرضا[85]، وبقي عند قبره ثلاثة أيام، وكانت هذه حيلة مؤثرة من المأمون فقد جعل عددًا من المؤرخين لا يؤيِّدون فكرة موت الإمام الرضا بتخطيط من قبل المأمون، كما وأن المأمون لم يوقف التداول بالدرهم الذي سكه باسم علي الرضا حتى عام 205هـ/820م؛ وذلك من أجل إرضاء أنصار الإمام، وعدم فقدان تأييد العناصر العلوية له[86].

وإذا ما صح القول أن المأمون هو من تسبب في موت علي الرضا؛ فهذا دليل على نوايا المأمون في اختياره وليا للعهد ليس كما قال بأنه خير البيتين العلوي والعباسي، وغيرها من الأسباب التي ذكرت في اختياره وليا للعهد، وإنما كان يريد أن يجمع حوله كل الفئات، بما فيها أنصاره العلويون حتى يثبت أركان حكمه بعد قتله لأخيه الأمين، وعندما رأى أن مصلحته تتعارض مع وجود الرضا، قرر أن يتخلص منه؛ ليكسب ولاء المعارضين لسياسته من البيت العباسي، وليخمد نيران الفتنة في بغداد، وليتمكن من المحافظة على مركزه في الخلافة، ويدخل بغداد وهو قد تخلى عن كل ما يمكن أن يثير غضب البغداديين عليه، وهذه الحادثة أثبتت أن المأمون منصوريٌّ في سياسته؛ أي يشبه سياسة الخليفة أبي جعفر المنصور، وأنه قد عاد إلى سياسة أجداده الخلفاء العباسيين بالفتك بالعلويين قبل أن يظهر الخطر منهم [87].

يرى الباحث أن ما أقدم عليه المأمون من بيعته لعلي الرضا بولاية العهد مجرد خدعة سياسية ماكرة؛ من أجل إخماد نيران الحركات العلوية المعارضة في أقاليم الخلافة، ويُوقف ثوراتهم المتعاقبة، وفاقت خدعة المأمون حدود التوقعات، وذلك بعدما قام بقتل الرضا، وولي عهده من بعده بدون جرم مسبق.

[80] - فوزي، فاروق عمر، الفضل بن سهل وزير المأمون نموذج للتخريب الفارسي في السياسية العباسية، مجلة الآداب، العدد 32، جامعة بغداد، بغداد، 1982م، ص222.
[81] - أبي مسلم الخراساني: عبدالرحمن بن مسلم، وقيل أنه هو إبراهيم بن عثمان بن سيار وهو من مؤسسي الدولة العباسية، وأحد كبارها ولد عام مائة هجرية، وقتله المنصور عام137هـ/754م. كان رجلا فصيحا بالعربية والفارسية، مقداما، داهية، حازما، وكان قصير القامة، رقيق البشرة، قاسي القلب خافض الصوت في حديثه سوطه سيفه، وأعده الخليفة المأمون من أجل ملوك الأرض. ابن خلكان، وفيات، ج3، ص145.
[82] ـ طوس: مدينة بخراسان قرب نيسابور مشهورة، ذات قرى ومياه وأشجار، وتشمل على محلتين، يقال لإحداهما: طابران، والأخرى نوقان، وفي جبالهما معادن الفيروزج وينحت منها القدور والبراهم، وغيرها من الآلات، حتى قال أحدهم: قد الآن الله لأهل طوس الحجر كما الآن لداود عليه السلام الحديد. القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت682هـ/1283م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص411.
[83] ـ القمي، أخبار الرضا، ج2، ص267؛ الذهبي، سير، ج9، ص390؛ رندلسن، داويت، عقيدة الشيعة، ط2، مؤسسة المفيد، بيروت، 1990م، ص177.
[84] - الطبري، تاريخ الرسل، ج8، ص565؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص504.
[85] ـ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص452..
[86] ـ رونلدسن، عقيدة الشيعة، ص176؛ رمضان، عاطف منصور محمد، موسوعة النقود في العالم الإسلامي، دار القاهرة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2004م، ص236.
[87] ـ أيوب، إبراهيم، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، 1981م، ص82؛ الدوري، العصر، ص217.

إن هذا الفعل يكشف حقيقة شخصية المأمون اتجاه العلويين بأن ميله إلى جانبهم مجرد وهم وخداع، وأن ما يهم هذا الخليفة هو ضمان مصلحته ومصلحة العباسيين فقط. وأن ما فعله المأمون سيبقى ظاهرة سياسية فريدة في تاريخ الدولة العباسية على مدى عصورها.

القبض على إبراهيم بن المهدي عام 210هـ/823م

أما عن الأحداث في بغداد، فلم تستمر سيطرة إبراهيم بن المهدي طويلا؛ لأن أعوانه بدؤوا يخونونه سرًّا، وقد استغل أحدهم وهو المطلب بن عبد الله الفرصة بالمدائن، وأخذ يدعوا سرًا إلى المأمون بإيعاز من المأمون نفسه، فتمكن من شراء عدد كبير من أهل بغداد، فانضم إليه منصور بن المهدي، وخزيمة بن خازم، وبعض القواد من أهل بغداد [88].

في عام 203هـ/818م تفاقم الأمر سوءًا لدى إبراهيم بن المهدي، حيث قام بضرب عيسى بن أبي خالد وحبسه؛ لأن إبراهيم طلب منه أن يتهيَّأ لحرب الحسن بن سهل وأتباعه، ولكنه اعتذر وتأخر عن قتالهم، وتحجَّج بأن الجند يريدون رواتبهم، وبعد أن ضربه أخذ زوجته وأطفاله فحبسهم [89].

على الرغم مما بذله عيسى بن محمد أبي خالد مع إبراهيم بن المهدي من تضحيات كبيرة في وصوله للخلافة، ووقوفه بجانبه في مواجهة الفتن، إلا أنّ الأخير ضربه وحبسه وأخذ أطفاله؛ ولكن أهل عيسى بن محمد اجتمعوا وطردوا عامل إبراهيم من الكرخ[90]. لقد أثار هذا العمل حفيظة أهل بغداد على إبراهيم، ونادوا بخلعه، وهذه تمثل بداية النهاية لهذه الحركة[91].

تغيَّر الموقف في بغداد بعدما كان أهلها موالين لإبراهيم بن المهدي أصبحوا ضده، وخاصة بعدما علموا بخبر مسير المأمون من مرو اتجاه بغداد، وبعد دخول عدد كبير من أهل بغداد في طاعته بعد الدعوة إليه سرا من قبل بعض أعوانه، فاضطرب لذلك أمر من كان يعتمد عليهم في نصرته، فأخذوا بالتخاذل عنه، وعصيان أوامره، وعندما رأى إبراهيم أن قواده تخلوا عنه، وتجمع الناس على داره مطالبين بخروجه وخلعه من الخلافة، فما كان عليه إلا أن يختفي عن الأنظار، فهرب في ليلة الأربعاء الثالث عشر من ذي الحجة عام 203هـ/818م، وظل متخفيا إلى أن دخل المأمون بغداد [92].

مرّ المأمون في طريقه[93] على الري[94] وجرجان[95]، ومكث فيهما مدة من الزمن، وعند وصوله إلى النهروان[96] استقبله أهل بيته والقادة، ودخل المأمون بغداد في الرابع عشر من صفر عام 204هـ/819م[97]، وبدخوله استتب الأمن في بغداد وعادت الحياة إلى طبيعتها، وبعودة الخليفة المأمون إلى مركز الخلافة تنتهي حركة إبراهيم بن المهدي [98].

يذكر ابن طيفور أن الخليفة المأمون أمر بالبحث عن إبراهيم بن المهدي وأصر على طلبه[99]، وجعل لمن يقبض عليه مائة ألف درهم[100]، فأرسل إلى شكلة أم إبراهيم بن المهدي يسألها عنه، ويتوعدها إن لم تدل على مكانه، فبعثت إليه تقول: "يا أمير المؤمنين أنا أم من أمهاتك، فإن كان ابني عصى الله عز وجل فيك فلا تعصِ الله فيه"، فرقَّ لها المأمون وتوقف عن طلب إبراهيم [101].

في ربيع الأول من عام 210هـ/825م تم القبض على إبراهيم بن المهدي، وهو متخفي في زي امرأة مع امرأتين، أخذهم أحد الحراس في الليل، فقال: من أين أنتن، وأين تردن في هذا الوقت؟ وقد رأى الحارس في يد إبراهيم خاتم من ياقوت، فشك في أمره، وقال: هذا خاتم رجل له شأن، ورفعهن إلى صاحب المسلحة[102]، فأمرهن أن يسفرن[103]، فامتنع إبراهيم، فسحبه، فظهرت لحيته، فأرسله إلى صاحب الجسر الذي تمكن من معرفته، وأبلغ الخليفة المأمون بالقبض عليه، فأمر بالاحتفاظ به إلى الغد[104].

[88] ـ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص452؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج8، ص566؛ بديوي، خالد أحمد محمد، الحياة السياسية والإدارية والاجتماعية في عصر الخليفة المأمون (170ـ218/813ـ833م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس، القاهرة، 2001م، ص15.
[89] ـ الطبري، تاريخ الرسل، ج8، ص569؛ ابن الاثير، الكامل، ج5، ص505.
[90] ـ الكرخ: قرية فوق بغداد على بعد ميل عنها. القزويني، آثار البلاد، ص444.
[91] ـ مسكوية، تجارب، ج3، ص377؛ ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص311.
[92] ـ الطبري، تاريخ الرسل، ج8، ص572؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص506؛ ابن كثير، البداية، ج14، ص124؛ ابن خلدون، تاريخ، ج3، ص311.
[93] ـ الملحق رقم (1).
[94] ـ الري: مدينة مشهورة من أمهات البلدان وأعلام المدن، وهي محطة الحجاج على الطريق السابلة، وبينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخا، وتتميز بكثرة الفواكة والخيرات. الحموي، معجم البلدان، ج3، ص116.
[95] ـ جرجان: مدينة تقع بين خوارزم وطبرستان، وتنسب إلى جرجان بن أمم بن لوذان بن سام بن نوح عليه السلام. الحموي، معجم البلدان، ج2، ص127.
[96] ـ النهروان: كورة واسعة بين بغداد وواسط في شرقي دجلة، وتبعد عن بغداد أربعة فراسخ. القزويني، أثار البلاد، ص472.
[97] ـ ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر (ت280هـ/894م)، بغداد، تحقيق محمد زاهد الكوثري، الناشر السيد عزة العطار الحسيني، مصر، 1949م، ص9؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص454؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج8، ص574.
[98] ـ خليفة، حسن، الدولة العباسية قيامها وسقوطها، المكتبة المصرية الكبرى، القاهرة، 1931م، ص101.
[99] - ابن طيفور، بغداد، ص101.
[100] ـ الإتليدي، محمد دياب (ت1100هـ/1689م)، إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، تحقيق محمد أحمد عبدالعزيز سالم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م، ص226.
[101] ـ ابن طيفور، بغداد، ص101.
[102] ـ المسلحة: الجند المسلحون في الولاية أو المحافظة. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (ت732هـ/1331م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج22، تحقيق عبدالمجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م، ص153.
[103] يسفرن: مادة: سفر، وهي جمع مفردها: سفر، ويقصد به: سفرت المرأة إي كشفت عن وجهها. معلوف، المنجد، ص337.
[104] ـ ابن طيفور، بغداد، ص101؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج8، ص604؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص542؛ النويري، نهاية، ج22، ص153.

أُدخِلَ إبراهيم بن المهدي على الخليفة المأمون، فسلَّم إبراهيم، فقال المأمون: لا سلَّمك الله ولا حفظك، فقال إبراهيم: يا أمير المؤمنين إن ولي الثأر محكم بالقصاص، والعفو أقرب للتقوى، ومن تناوله الاغترار بما مد له من أسباب الرجاء لم يأمن من عادية الدهر، وقد جعلك الله فوق كل ذي عفو كما جعل كل ذي ذنب دون عفوك، فإن تأخذ فبحقك، وإن تعف فبفضلك. ثم قال المأمون: لا بأس عليك يا عم، فقال إبراهيم: ذنبي يا أمير المؤمنين أعظم من أفوه معه بعذر، وعفوك أعظم من أن أنطق معه بشكر، ولكن أقول:

إن الذي خلق المكارم حازها في صلب آدم للإمام السابع
ملئت قلوب الناس منك مهابة وتظل تلكؤهم بقلب خاشع
ما إن عصيتك والغواة تمدني أسبابها إلا بنية طائـــع
عفوت عمن لم يكن عن مثله عفو، ولم يشفع إليك بشافع
ورحمت أشباحا كأفراخ القطا وحنين والدة بقلب جـازع.

فقال المأمون: لا تثريب عليك عفوت عنك، ورددت إليك مالك وضياعك [105].

تشير بعض المصادر التاريخية أن المأمون استشار خواصه في إبراهيم بن المهدي، فقال: بعضهم: اقطع يديه، وقال بعضهم: اصلبه على الجسر، وقال أحمد بن أبي خالد: إن عفوت لم تجد مثلك عفا عن مثله، وإن قتلته وجدت الكثير فعل مثلك، فعفا عنه المأمون[106]. ويذكر ابن الساعي أن بوران بنت الحسن بن سهل هي من طلبت العفو عن إبراهيم[107].

عاش إبراهيم بن المهدي إلى أن توفي في شهر رمضان عام 224هـ/838م بسامراء[108].

إن الذي يسمع بالوهلة الأولى بأن العباسيين في بغداد قاموا بخلع المأمون من الخلافة، واختاروا إبراهيم بن المهدي بدلًا عنه، يراه استخفافا بمنصب الخلافة، واستهانة بشخصية الخليفة المأمون، وعدم أحقيته بالمنصب الرئاسي الذي هو فيه. ولكن المتمعِّن في أحداث عصر الخليفة المأمون يجد أن هناك قرارات خاطئة ومتراكمة قام بها الخليفة حتى وصل به الحد إلى خلعه من الخلافة، ومن من؟!! من بني العباس أهله وشيعته، وتمثلت هذه القرارات الخاطئة التي أثارت حفيظة العباسيين بداية من قتله لأخيه الأمين، وتقريب العنصر الفارسي في المناصب العليا، وبقائه في مرو مفضلًا لها على بغداد مركز العباسيين وعاصمة الخلافة، وما قام به أخيرًا من البيعة بولاية العهد إلى شخصية علوية مقدِّمًا إياها عن أخيه القاسم الذي هو ولي العهد الشرعي، وقد كان هذا القرار الأخير بمثابة القشَّة التي قصمت ظهر البعير، وأدى إلى انفجار العباسيين على المأمون وخلعه من الخلافة.

الخاتمة

بعد استعراض حركة إبراهيم بن المهدي ضد الدولة العباسية في العراق زمن الخليفة المأمون (198-218هـ/813-833م)، فإن الدراسة توصلت إلى نتائج أهمها:

- أشارت الدراسة إلى الظروف السياسية للخلافة العباسية عند تولي المأمون الخلافة عام (198-218هـ/813-833م)، فقد كان لهذه الظروف أثرها في ظهور الحركات المعارضة.

- أظهرت الدراسة نتائج عقد الخليفة المأمون البيعة بولاية العهد عام (201هـ/816م) إلى علي الرضا. أعتقد الخليفة المأمون أنه سيحد من الغضب العلوي ضد سياسته بهذه الخطوة المفاجئة، ولكن هذا القرار أدى إلى ظهور طرف آخر معارض في العراق، وهم بنو العباس، فقاموا بخلعه من الخلافة، وتعيين إبراهيم بن المهدي بصفته خليفة. في خضم الأحداث المضطربة في العراق استغلت الأقاليم الأخرى التابعة للخلافة العباسية هذا الوضع، فقامت بحركات التمرد والعصيان، ومنها: حركة نصر العقيلي في بلاد الشام، وحركة بابك الخرمي في أذربيجان، وثورة القبط في مصر، وحركات أخرى في المغرب، واليمن، وما تجدر الإشارة إليه أن الباحث لم يتطرق إلى هذه الحركات في دراسته كونها خارج الإطار الجغرافي للدراسة.

- ركز البحث على موقف الخليفة المأمون في محاولته لاستدراك الوضع السياسي في العراق بعد ما علم بخبر تولي إبراهيم بن المهدي الخلافة، فقد قام بالتخلص من وزيره الفضل بن سهل، وولي عهده علي الرضا؛ من أجل استرضاء بني العباس.

- أوضح المقال طريقة تعامل الخليفة المأمون مع إبراهيم بن المهدي بعد القبض عليه، فقد عفا عنه، ويتضح من ذلك تعاطف الخليفة مع أبناء البيت العباسي، والمتتبع للحركات التي ظهرت في عهد الخليفة المأمون، أن الخليفة لا يعفو عن مسيريها، مثال على ذلك حركة أبي السرايا الذي أمر بقتله.

[105] ـ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج4، ص133.
[106] ـ ابن طيفور، بغداد، ص105؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص458.
[107]- ابن الساعي، علي بن أنجب (ت674هـ/1275م)، نساء الخلفاء المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء، تحقيق مصطفى جواد، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ص67.
[108] ـ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج7، ص75؛ ابن خلكان، وفيات، ج1، ص41.

المصادر والمراجع

المصادر

1. البخاري، أبي نصر سهل بن عبد الله بن داود بن سليمان (ت341هـ/952م)، سر السلسلة العلوية، تحقيق السيد محمد الصادق، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، 1963م.
2. ابن تغري بردي، يوسف الاتابكي، (874هـ/1469م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، 4 أجزاء، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، (د.ت).
3. الاتليدي، محمد دياب (ت1100هـ/1689م)، إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، تحقيق محمد أحمد عبدالعزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م.
4. الثعالبي، أبي منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري (ت429هـ/1038م)، تحفة الوزراء، تحقيق حبيب علي الراوي، وابتسام مرهون الصفار، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2006م.
5. ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد الجزري (ت630هـ/1233م)، الكامل في التاريخ، 11جزء، تحقيق عبدالسلام التدميري، ط5، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م.
6. الجهشياري، عبدالله بن عبدوس الكوفي (ت331هـ/942م)، الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبدالحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده، القاهرة، 1938م.
7. الحموي، شهاب الدين ياقوت (ت626هـ/1228م)، معجم البلدان، 7 أجزاء، دار صادر، بيروت، 1977م.
8. الخطيب البغدادي، أبي بكر أحمد بن علي (ت463هـ/1070م)، تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها وواردیها، 16 جزء، تحقيق بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001م.
9. ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن الأشبيلي (ت808هـ/1406م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، 7 أجزاء، تحقيق خليل شحادة، وسهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2000م.
10. ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت681هـ/1283م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 8 أجزاء، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1978م.
11. ابن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط العصفري (ت240هـ/854م)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط2، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 1985م.
12. الأزرقي، محمد بن عبدالله بن أحمد المكي (ت250هـ/864م)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، 2003م.
13. ابن الساعي، علي بن أنجب (ت674هـ/1275م)، نساء الخلفاء المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء، تحقيق مصطفى جواد، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).
14. الأسكافي، محمد بن عبدالله الخطيب (ت421هـ/1030م)، لطف التدبير، تحقيق أحمد عبدالباقي، مكتبة المثنى، بغداد، 1964م.
15. الأصفهاني، أبي الفرج علي بن الحسين بن محمد (ت356هـ/966م)، الأغاني، 25 جزء، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1938م.
16. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت748هـ/1347م)، سير أعلام النبلاء، 25 جزء، تحقيق علي أبو زيد ط11، مؤسسة الرسالة، بيروت، عام 1996م.
17. الطبري، محمد بن جرير (ت310هـ/923م)، تاريخ الرسل والملوك، 10 أجزاء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1966م.
18. ابن الطقطقا، محمد بن علي بن محمد العلوي الفخري (ت709هـ/1309م)، الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، (د.ت).
19. ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر (ت280هـ/894م)، بغداد، تحقيق محمد زاهد الكوثري، الناشر السيد عزة العطار الحسيني، مصر، 1949م.

20.القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت682هـ/1283م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، (د.ت).

21.القمي، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى (ت381هـ/991م)، عيون أخبار الرضا، جزئين، المطبعة الحيدرية، النجف، 1970م.

22.القلقشندي، أحمد بن عبدالله (ت821هـ/1418م)، مآثر الأنافة في معالم الخلافة، 3 أجزاء، تحقيق عبدالستار أحمد، عالم الكتاب، بيروت، (ب.ت).

23.ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع البصروي الدمشقي القرشي (ت774هـ/1373م)، البداية والنهاية، 21 جزء، تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان العربي، السعودية، 1998م.

24.مسكوية، علي بن أحمد بن محمد (ت421هـ/1031م)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، 7أجزاء، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.

25.ابن ماكولا، علي بن هبة الله بن علي بن جعفر (ت475هـ/1083م)، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، 4أجزاء، ط2، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1993م.

26.ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت711هـ/1312م)، مختصر تاريخ دمشق، 31 جزء، تحقيق سكينة الشهباني، دار الفكر، دمشق، 1998م.

27.النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (ت732هـ/1331م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج22، تحقيق عبدالمجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م.

28.اليعقوبي، احمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت282هـ/895م)، تاريخ اليعقوبي، جزئين، ط2، دار صادر، بيروت، 2010م.

المراجع:

1.أيوب، إبراهيم، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، 1981م.

2.خليفة، حسن، الدولة العباسية قيامها وسقوطها، المكتبة المصرية الكبرى، القاهرة، 1931م.

3.الدوري، عبد العزيز، العصر العباسي الأول دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009م.

4.رمضان، عاطف منصور محمد، موسوعة النقود في العالم الإسلامي، دار القاهرة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2004م.

5.هدارة، محمد مصطفى، المأمون الخليفة العالم، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 2000م.

- المراجع المعربة:

1.بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس، ومنير البلعبكي، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1973م.

2.جلوب، جون، إمبراطورية العرب، ترجمة عادل حامد محمد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2014م.

3.رونلدسن، داويت، عقيدة الشيعة، ط2، مؤسسة المفيد، بيروت، 1990م.

4.ليسترينج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس، وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، 1954م.

-البحوث والمقالات العربية:

فوزي، فاروق عمر، الفضل بن سهل وزير المأمون نموذج للتخريب الفارسي في السياسية العباسية، مجلة الآداب، العدد 32، جامعة بغداد، بغداد، 1982م.

الرسائل الجامعية:

1.بديوي، خالد أحمد محمد، الحياة السياسية والإدارية والاجتماعية في عصر الخليفة المأمون (170ـ218/813ـ833م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس، القاهرة، 2001م..

2.الجهورية، أحلام بنت محمد بن مبارك، نظام ولاية العهد في العصر العباسي الأول (132-247هـ/749-860م)، رسالة ماجستير منشورة، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، مسقط، 2012م.

3.السعدي، عبدالعزيز عبدالله، حركات المعارضة السياسية ضد الدولة العباسية في العراق زمن الخليفة المأمون(198-218هـ/813-833م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة السلطان قابوس، مسقط، 2021م.

4.عرفة، ثريا حافظ، الخراسانيون ودورهم السياسي في العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك عبدالعزيز، مكة المكرمة، 1980م.

مجلة الخليل للعلوم الاجتماعية
Al-Khalil Journal for Social Sciences
مركز الخليل بن أحمد الفراهيدي للدراسات العربية والإنسانية
Al-Khalil bin Ahmed Al-Farahidi Center for Arabic Studies and Humanities
جامعة نزوى
University of Nizwa
رقم العدد: 3 السنة: 2025

العناصر الكلاسيكية والمحلية في تصوير الإسكندر على العملة في مصر

أ.د. منال حسين
كلية الآثار - جامعة الفيوم
mam02@fayoum.edu.eg

ملخـــص:

إن فتح الإسكندر لمصر في عام 332 ق.م يعتبر بمثابة مرحلة انتقالية بين مصر الفرعونية والمملكة البطلمية التي قامت في مصر علي يد " بطلميوس الأول"، فهي مرحلة عرفت تغيرات سياسية واجتماعية واقتصادية كثير وتمثلت أحدي مظاهرها الاقتصادية في بداية سك النقود للتداول الداخلي والتي لم تكن مسبوقة من قبل. ونجد أن النقود التي سكت في عصر الأسكندر لم تكن للتداول الداخلي فقط ولكن كان لها مدلولات سياسية ودعائية تمثلت في بعض الرموز والعناصر التي أضيفت علي العملة، والتي تنوعت ما بين العناصر الكلاسيكية والعناصر " المصرية"، وعلي الرغم من غلبة العناصر الكلاسيكية كتصوير الإلهة أثينا ونيكي، في المرحلة الاولي لسك النقود الخاصة بالاسكندر وهو الأمر الذي كان بدون شك لغرض دعائي خارج مصر ، إلا أن المراحل التالية بدأت العملة تتميز بمزج ما بين العناصر الكلاسيكية بعض العناصر المحلية علي العملة.

ويهدف البحث لمناقشة تلك العناصر الكلاسيكية والمحلية ومدي تاثيرها علي السياسة الداخلية والخارجية في مصر، وهل استطاع الملوك البطالمة وخاصة بطلميوس الأول من استخدام تلك الفئات النقدية في تدعيم حكمه علي مصر

الكلمات المفتاحية: الإسكندر الأكبر- عملة الإسكندر– مصر منذ فتح الاسكندر

تاريـــخ استـــلام البحـــــث:
Date of Submission:
17- 02- 2024

تاريـــخ التحكيـــــــم:
Date of Reviewing:
01- 04 -2024

تاريخ استلام النسخـــة المعدلة:
Date of receiving the revived form :
08- 05 -2024

تاريـــــخ القبـــول:
Date of acceptance :
26- 05 - 2024

تاريـــخ النشـــر الرقمـــي:
Date of publication online :
01-04 -2025

لإقتبـــاس هذا المقـــال:
For citing this article:
حسين، منال. (2025). العناصر الكلاسيكية والمحلية في تصوير الإسكندر علي العملة في مصر. مجلة الخليل للعلوم الاجتماعية، العدد (3)، 25 - 35.

The Classical and Egyptian Motifs Depicted on Alexander's Coins in Egypt

Prof. Dr. Manal Hussein
Collage of Archaeology - Fayoum University
mam02@fayoum.edu.eg

Abstract:

Alexander's conquest of Egypt, in 332 BC, was considered a transitional phase between the Pharaonic era and the Ptolemaic era, which was established in Egypt by Ptolemy I. One of the economic changes that began during the reign of Alexander the Great was the coinage, which were not known before.

It is noted that the coins that were minted in the era of Alexander were not mere monetary for internal circulation only, but they had political and propaganda implications represented in some symbols and elements that were depicted on coins. These symbols varied between classical and Egyptian motifs. In the first stage of minting money for Alexander, which undoubtedly for the propaganda purpose, there was a predominance of the classical motifs In later stages, the coin began to be characterized by a mixture of classical and Egyptian elements.

This paper aims to discuss these classical and Egyptian motifs on Ptolemaic coinage, as well as the impact of these monetary on the local and foreign politics in Egypt, and how could the Ptolemaic kings, especially Ptolemy I, were able to use the minting money to consolidate their rule over Egypt.

Keywords: Alexander the Great, Coinage, Ptolemaic, Ptolemy I.

Introduction:

Alexander III, or as he is known as Alexander the Great, was the son of Philip the ruler of Macedonia at the beginning of 359 B.C., his mother, Olympia, was a daughter of King Neoptolemus, king of Epirus (Fildes& J. Fletcher, 2001,p.15). Alexander III was born On July 20 or 26, 356 B.C (Radwan, 2006, p.15). Alexander grew up in the city of Pella, the capital of Macedonia, in its royal palace. Alexander was first educated by Lanice during his first seven years. Then, he was taught by his teacher, Leonidas (Fildes& J. Fletcher, 2001,p.15).After that, the famous philosopher Aristotle, take care of teaching him in the following period (Farah, 2002,p.18).

Alexander the Great and the Conquest of Egypt:

Obviously, Alexander's upbringing as a prince in the royal palace in the capital Pella " a city in the region of ancient Bottiaia", since his early childhood, and his meeting with many different nationalities, whether from Greek cities or Asia Minor, Egypt, and Persia, had played a prominent role in his policy when he conquered many kingdoms and countries, including Egypt (Fildes& J. Fletcher, 2001, p.15). It was not only his royal upbringing that played a role in his politics, the myth of his divine birth also played a clear role in his policy, according to this myth; he was born as a result of a partial union between his mother Olympias and the god Zeus Amon (Abdul Wahhab, 1991, p.70). It is certain that this myth had the greatest impact on the situation of Alexander the Great in Egypt since his first day of conquest in 332 B.C. He was not faced by any significant struggle when he conquered Egypt, on the contrary, he was very welcomed by the Egyptians (Bury, 1996- 2001,p.16) who consider him a liberator from Persian rule, this had a clear effect in many fields ر rt and coins.

Since his first moment in Egypt, Alexander tried to confirm his legitimacy as the ruler of Egypt, so he visited the temple of the god Ptah in Memphis and sacrificed to the Egyptian god, then he was crowned as pharaoh of the country (Nashi, 1980,p.20), then he headed north to the location called Rhacotis where he ordered to build the city of Alexandria Which was built according to the Greek planning (plan: Show, 2000, p.406), after that he headed west to the Temple of oracle in Siwa oasis, as another attempt to confirm this legitimacy, where the High Priest greeted him saying: "Welcome the son of Amon" (Farah, 2002, p.28). Therefore, in the name of this god, Alexander was granted control over the world, the control that was given to the Egyptian pharaohs before, and therefore Alexander the Great hold the titles of the Egyptian pharaohs, which were associated with his name in the inscriptions including the "Horus" name (Nashi, 1980, p.16), the "sa Ra" name that means son of Ra, he was namedstp.n-rˁ mri-imnthat means "the chosen one by Ra, the beloved of Amun" (Abdul-Wahhab, 1991, p.72).

The beginning of monetary issues in Egypt:

After the coronation of Alexander as a ruler of Egypt, a new era began in the history of Egypt. It was an era with new features in political,historical, and economic aspects of society. These new features were clear on the coins that were minted in Egypt during the reign of Alexander, which is considered the beginning of coinage in Egypt and may have been the beginning of the monetary exchange system in Egypt in general. Althoughsome opinions confirm that Egypt knew coinage in an earlier period, specifically in the era of the late dynasties (Al-Abadi, 1992, p.15; Greek, 1955, p.144)during the reign of Nectanebo II (360-343 B.C.), the last native ruler in pharaonic Egypt. It is believed

that this earlier coinage was not used for daily trading (Abdul-Aziz, n.d., p.120), but for foreign trade exchange, which was confirmed by finding some coins that are believed to have been minted in Athens for the trade exchange with Egypt, especially for their need to import wheat from Egypt, which were of the Tetradrachm category, with the image of the Egyptian Sphinx with the head of Pallas (Huber, 1862, p.160).

Although Egypt minted money during the Persian era according to Herodotus (Herodotus,IV, 166.) mentioned that Aryandes, the governor of Egypt during the reign of Darius - the Persian ruler - minted golden and silver coins (Fig.1). It was comparable in purity with the coins of the Persian (Parker, 1851, p.373, n.5), which was confirmed by what was found of coins in the category of four drachmas of the Athenian style and bearing an Arameans inscription from the period of the rule of Sabakes and Mazakes (Poerre, 199,p.221-230). So, this coin was considered a foreign coin, it is certain that Egypt knew minting money for local circulation with the death of Alexander in 323 B.C and during the reign of Ptolemy I, "Ptolemy son of Lagus", who ruled Egypt, Cyrenaica, and southern Syria as satrap under the Alexander the Great's family (Huber, 1862, p.162).

Egypt has known some bronze coins that bear a depiction of Alexander's face; they varied in large and small categories, such as those belonging to the city of Naucratis (Leonard, 1977,p. 1-35).

The first group:

The monetary issues of this group begin in the period between 326-325 B.C, they were minted in Memphis (Stewart, 1994, p.231), which is the old mint before moving the mint to the new capital, Alexandria, in 320 B.C (Farah, 2002, p.103). All the issues of this group are mint of gold stater category; they continued to be minted for fifteen years until 310 B.C. Alexander is depicted in this group wearing the elephant scalp (Stewart, 1994, p.231). Another coin of bronze dates from the same period, with Alexander depicted onobverse, while the reservebearing the image of the goddess AthenaPromachos, (Fig. 4) (Dahmen, 2007, p.112). Alexander the Great might haveaimed bydepicting the goddess Athena on his coin, to conciliate the Athenians indirectly to continue to support him with their naval fleet, and also because of his need to silver from the Athens mines (Kadus, 1999, p.285-286).He also might have aimed to depict himselfin Greek shape as political propaganda in Greece as the liberator of the Greek cities from the Persians (Dahman, 2007, pp.111-112).Moreover, it is obvious that Ptolemy I tried to present Alexander to the Egyptians in the form of the Macedonian king (Ujfalvy, 1902, p.147),thus,Alexander appeared with his natural features, which correspond to the description of Julius Valery. So, this group of coins came purely Greek, without any of Egyptian influences. It could be said that this group of coins may have been more propaganda than for actual internal trading in Egypt, or perhaps it was for external trading only.

Another coin from the same group was minted in Memphis, dated to the period between (326-323 B.C). It depicted Alexander the Great on observe in the form of Heracles, but it is depicted in this piece with features that differ from what is customary in portraying Alexander the Great. He appeared with a prominent forehead and a full and small mouth. The nose appears straight, the eyes look up, and the hair is in Heracles style, while the reserve depicts the god Zeus sitting on

the throne (Fig. 5) (Smith, 1988, fig13).

It is noted that although the features of Alexander in this coin were far from his personal portraits' features portrayed by Lysippus, it has one of his characteristics, which is eye upward, that shows divinity as if Alexander was looking at the sky where the throne of his father Zeus (fig.6). It seems that this coin was too religious and political propaganda outside Egypt, specifically in Greece, therefore it could be said that this coin was for external trade only.

The second group:

This group dates from the period between 322-318 B.C. It can be divided into sub-groups from A to D as follows:

Group 2-A

Tetradrachm silver coin, which depicts, on the obverse, Alexander the Great in form of the god Heracles wearing the skin of a lion as a helmet (Stewart, 1994, p. 231), while on the reverse there is an inscription for the name of Alexander ΑΛΑΕΞΑΝΔΡΟΥ, and depicts the god Zeus seated on the throne holding the sceptre, while the eagle is standing on his hand, next to him is a lotus flower. This coin was minted between 326-325 BC. It is believed that itwas minted at Memphis (Fig. 7) (Abdul-Aziz, n.d, p.126; Kadous, 1999, p.175).

There is no doubt that this monetary form was not only limited to Egypt, but spread in many other Hellenistic kingdoms. Forexample, a silver coin of the category of tetradrachm from Pamphylia, which dates (324-323 B.C), where Alexander is depicted on the observe of the coinin the form of Heracles, wearing a lion's skin over his head, and it is believed that it depicts a personal portrait of Alexander, while the reverse depicts the god Zeus sitting on the throne holding the eagle in his right hand and the sceptre in his left hand (Fig. 8), this depiction of god Zeus is a copy of his statue in the Temple of Zeus at Olympus (Fig. 9).The inscription "King Alexander" was written on the observe ΒΑΣΙΛΕΩΣ ΑΛΑΕΞΑΝΔΡΟΥ. This coin is preserved in the Philadelphia Museum under No. (469-126-29) (Danien, 1990, p.77, figs.2,8). Another coin from Sidon is very similar to the two previous coins (Fig. 10), which dates back to the second century BC. (Jidejian, 1988, p.35).

It could be noticed, from first glance, that the previous coins portrayed Alexander the Great with the characteristics of portraits byLysipposthat include noblefeatures, curved nose, and delicate mouth. This is not the only Greek influence in those coins, there are some other Greek influences, which were represented in the god Zeus, the great Olympian gods, in addition to that Alexander was depicted with some symbols of Heracles, which is the cover of the head skin lion "Nemean", with which he was depicted in many of his personal images (Fig. 11a-b). These coins depict Alexander the Great as the legendary hero Heracles (Pollitt, 1986, p.25-26). His features came to reflect his power which is the sharp look, obtuse mouth, and wide, expressive eyes.

So, it could be confirmed that this group of coins came with purely Greek features, far fromEgyptian influences. This was confirmed through a coin depicting Alexander wearing a helmet with two ostrich feathers, as it depicts the horns of Amon. The reverse, depicts the winged goddess Nike, and the depiction of Khnum, as Newel mentions (Fig. 12), which carry some of Egyptian influences.

Group 2-B:

This group of coins dates back to the period between 322 - 318 B.C. This group bears another style of Alexander's images. On the observe, Alexander is depicted wearing an elephant's skin cover and the horns of Amon, and the royal band. On the reverse, God Zeus is depicted sitting on the throne, and the name of Alexander is inscribed ΑΛΑΕΞΑΝΔΡΟΥ or "King Alexander" ΑΛΑΕΞΑΝΔΡΟΥ ΒΑΣΙΛΕΩΣ. (Fig. 13) (Stewart, 1994, p.231-41).

In this group, there is a mixture of Greek and Egyptian elements, where Alexander appeared, combining the depiction of the Greek god Zeus depicted on observe of the coins, as well as the features of Alexander, which were similar to Alexander's portraits byLysippos.The elephant skin, which is considered one of the god Dionysus symbols, might also have been a symbol of Alexander's conquest of India, as Dionysus' trip to India was not known to Greece before Alexander's conquest (Dahmen, 2007, p.113), it should be noticed that Alexander, during his life, did not wear an elephant skin, not because of its heavy weight but because Alexander had not borrowed the elephant skin, which is one of the symbols of the god Dionysus(Ephippos, 12, 537e).Ptolemy I, Perhaps, added the elephant skin to the coins after Alexander's death, therefore this group can be dated between 322-318 B.C. These coins could be similar to the depictions of Alexander the Great in his personal image, and similar to the Medellinof Alexander the Great wearing elephant skin, perhaps Alexander was not depicted in this way on stone and marble statues because it was difficult to sculpt on these materials.

Egyptian elements in this group included the horns of the ram, the symbol of the god Amon, which was added to the portraits of Alexander after his visit to the Temple of Oracle in Siwa (Clement, 4,48; Damien, p.1990,85) It seems that Alexander wanted everyone to believe that he was the son of the god Amon, that why he was portrayed with a human face and ram horns (Clement 4,48).

There is a coin belonging to this group of silver tetradrachm. It depicts Alexander the Great with his head decorated with the horns of Amon and cover with elephant skin. This coin dates back to about 305 B.C (Ujfalvy, 1902, p.147). In this coin, the features of Alexander were far from the features of his portraits by Lysippos, although of worshipping Alexander, his depiction on these coinsshows royalty and nobility, and far from the features of gods that could be seen on Lysippos portraits, although the coins include the symbols of the god Amon. It is noted in this group that the Greek influencepredominate over the Egyptian influence.

Group 2-C:

This group of coins dates between (314 - 313 B.C). On the coins of this group, Alexander the Great appears wearing an elephant skin and ram horns, in addition to the aegis, and puts a Mitra (Stewart, 1994, p.231). Here, the mixture of theGreek and Egyptian symbols could be easily recognized. The symbols of Greek gods are represented with the Mitra, which is considered one of the symbols of the Greek god Dionysus, who is considered the half-brother of Alexander, according to the story of Alexander's birth, and the god Zeus is considered the father of both of them. In addition, the symbol of the Egyptian god Amon is represented by the horns of the ram.

Group 2-D:

The last group, which depicts Alexander the Great in Egypt, dates around 312 B.C. or a little earlier.Itdepicts, on the obverse, Alexander the Great wearing an elephant skin, a ram horn, a Mitra, and the aegis. The reverse depicts the goddess Athena Promachosin her war equipment, in front of her is the standing eagle on the thunderbolt, the symbol of the Ptolemaic family,and the name of Alexander ΑΛΑΕΞΑΝΔΡΟΥ or Alexander Ptolemy ΑΛΑΕΞΑΝΔΡΣΙΟV - ΠΤΟΛΕΜΑΙΟΥ is inscribed.

An example of this group is a coin of silver tetradrachm from Alexandria (Fig. 14), where Alexander the Great is depicted, on the obverse, wearing an elephant skin that reaches up to the shoulderwhich covered part of the ram's horn,the symbol of the god Amon, while the reverse depicts the goddess AthenaPromachos, who heads to the right and wears a helmet, holds herspear, the eagle appears at her feet, standing on the thunderbolt, behind the goddess,on the left side of the coin, is an inscription bearing the name of Alexander ΑΛΑΕΞΑΝΔΡΟΥ. (Smith, 1988, p.38)

It could be noticed that a small number of coins depicted Alexander during his life, while the rest of the coins that were found were minted during the reign of his successors (Dahmen, 2007, p.6); This is because Alexander, unlike his father Philip, rarely appeared on coins during his life, but after his death, his face began to appear on coins steadily (Fildes&Hetcher, 2001, p.68).

Conclusion:

The depiction of Alexander on coins in Egypt can be categorized under the name of political and religious propaganda, as it was not for a purely economic purpose, and there is no doubt that Ptolemy I "Soter" supported Alexander's status as a legitimate ruler and a god at the same time, he tried to support his political andreligious status as a successor to Alexander in Egypt, which appeared later when he used some symbols that were depicted on Alexander's coins, such as the eagle standing on the thunderbolt in his coin to declare himself as king of Egypt.

Based on the above-mentioned, Alexander's coins in Egypt can be divided into two phases:

Phase I: belong to political propaganda. It is the stage that followed his conquest of Egypt. It was found that his depiction of coins came in a purely Greek style. In some of them, the depiction of Alexander followed the style of his portraits portrayed by Lysippos, that depicts him with features that show heroism and powerful, as if he resembles himself with the hero Achilles, as he wanted to emphasize a certain military idea at that early stage as controller and powerful on the region. Thistype of political propaganda could be considered as a type of international propaganda, as portraying Alexander not only for the Egyptians but also for all the regions that he conquered, this is confirmed by the coins that bore his image in that period.

Phase II: It is the stage of religious propaganda, the stage that followed the stage of political propaganda, in which Alexander tried to speak before the Egyptians on a local scale through the coins that were minted during that period, so he was depicted with the horns of a ram in an attempt to prove his relationship with the god Amon, the most popular deity not only in Egypt but also in the whole ancient world. Itis certain

that Alexander adopted this attitude with the Egyptians, due to his full awareness of the Egyptian character and their religious attachment to the gods and to their Pharaohs, who often gave them a religious character. Another point that can be noticed in the coinage of the second stage is the depiction of the lotus flower, which is considered an Egyptian symbol that has significance in funerary art, it represented the resurrection for the dead people. Moreover, these depictions indicate the deification of Alexander.

As for the global scale, Alexander was portrayed with the Greek gods or with their symbols as political and religious propaganda, he often dedicated religion to serve his political purposes. It is noted that Alexander, on the coins of phase II, was far from depicting himself with the symbols of the gods, whether Greek or Egyptian.

It is also clear that the coins of Alexander in Egypt has a Greek influence in it is subject, which represented by depicting Alexander on the observe with the addition of some symbols of Greek gods, such as the god Dionysus or the hero Heracles, while the other side depicts one of the Greek gods, such as the god Zeus, whom Alexander considered him as a father, or the goddess Athena, while some of the Egyptian elements appeared, such as the horns of the ram, the symbol of the god Amon, and the lotus flower.

Thereis no doubt that Alexander's coins in its first group were more inclined to Greek influences than Egyptian influences, and this may be due to the fact that those coins that were minted in Memphis followed the general shape of coins during Alexander's life, but after Alexander's death every one of his successors began to try to assert their control over the area under his rule, which appeared clearly in Group 2-D, in which Ptolemy I began to add some symbols as a preparation for his independence with Egypt to become an independent state under his rule, so,he used the eagle standing on the thunderbolt, which became the symbol of the Ptolemaic kingdom later, and he also used some inscriptions indicating his name ΔoΦ.Thus, the coin that carried the portrait of Alexander turned from a coin with global features, for the whole Alexander's empire, to coin with local features, as Ptolemy I began establishing his own kingdom with distinctive features from the rest of the Hellenistic world that was built on the ruins of Alexander's empire.

Sources

-Clement of Alexandria, Protreptikos Pros Hellenas

-Ephippos, ApudAthenaios, 12, 537e

-Herodotos, Historia, IV, 166.

-Julius Valerius,ResGestaeAlexandri, Macdonis, 1, 7

References

-Abd El Aziz,H., Greek Coin, Arabic edition, Alexandria, no date.

-Abd el Wahab, Hellenistic Era, Arabic Edition, Alexandria,1991.

-Jessopprice, M., The Coinage on the Name of Alexander the Great and Philip Arrhidaeus, "A British Museum Catalogue", London, 1991, Vol. I, p.30 (Fig. 3977).

-.Pollitt J.J.,Art in the Hellenistic age,(1986).

-Bury, J.B., History of Greece to the Death of Alexander the Great, London,1951.

-Dahmen ,K., The Legend of Alexander the Great on Greek and Roman Coins,2007.

-Damien, E.C., The World of Philip and Alexander "A Symposium on Greek Life and Time", The University of Pennsylvania, 1990.

-El Abadi, Egypt from Alexander to the Arab Conquest, Arabic Edition, Cairo, 1992.

-Farah,A., History of Egypt In Ptolemaic and Roman Era,A.R.E.,Arabic Edition, 2002

-Fildes& Fletcher, Alexander the Great "Son of Gods".

-Fildes, A., & Fletcher, J., Alexander the Great "Son of Gods", London, 2001.

Greek G.k., Coins Recently Acquired by the British Museum (numismatic chronicle) 1955.

-Haggag,M.,Greek myths depicted in art, A.R.E., Arabic edition, no date.

-Huber,C.G., Essay on the Classification of Ancient Coins Found in Egypt, The Numismatic Chronicle and Journal of the Numismatic Society , New Society, New Series, Vol.2, 1862,P.160.

-Jidejian, N., Lebanon and The Greek World 333 to 64B.C, Illustrated by Coins I the Michel EddeCollection ,USA, 1988.

-John.J. Popovic, Alexander the Great of Macedon from History, 1996-2001.88

-Kadus,A., Greek and Hellenistic Coins,Alexandria,Arbic Edition,1999.

-Leonard, A., Ancient Naukratis"excavations at Greek Emporium in Egypt, Part I., The annual of the American School of Oriental Research 54, Cambridge,1977.

-Newell, E.T., Miscellanea Numismatica : Cyrene to India. ANS Numismatica Notes and Monographs 82,1938.

-Noshi,I.,Egyptian History in Ptolemaic Era, Vol.I,Cairo, Arabic edition, 1980.

-Parker,R.A., Darius and his Egyptian Campaign, in: AJSL,vol.58,1851.

-Poerre, H. Nic., Les monnaies des deuxdernierssstarapesd'Egypteavant la conquêted'Alexander, "Essay in Honor of M. Tompson", (eds. O. Morkholms& N. M. Waggoner, Wetteren,1997.

-Radwan,A.F., Alexander the Great "An analytical study of its cultural influences", A.R.E.,Arabic Edition,2006.

-Smith, Hellenistic Royal Portraits,1988.

-Stewart,A., Faces of Power, "Alexander's Image and Hellenistic Politics",1994.

-Ujfalvy, De., Le Type Physique d'Alexandre le Grand d'aprés les Auteurs Anciens et les Documents Iconographiques,France,1902.

-Wheatley,P., Baynham,E., East and West in the World Empire of Alexader, Oxford, 2015.

Figures

Fig.1. A coin minted in the era of the Persian governor Ariandis (after: G.K. Jenkins, "Greek coins recently acquired,by the British Museum," Numismatic Chronicle 1955, p.145, 24, pl. 1)3

Fig.2. A coin minted during Alexander's life. The obversedepicts Alexander wearing the skin of a lion, the reversedepicts the god Zeus sitting on a throne holding an eagle (after: Wheatley,P., Baynham,E., East and West in the World Empire of Alexader, Oxford, 2015,fig.13.1)

Fig. 3. A coin depicting on the obversea vertical image of the goddess Athena. The reversebears an image of the goddess Niki holds a wreath with the sign of the Egyptian god Khnum, the name Alexander ΑΛΕΞΑΝΔΡΟΥ is written (after: Svoronos,j.N,TaNomismatatouKratous ton Ptolemaio,1904-8,pl.1fig).

Fig. 4. A coin depicting on the obverseAlexander and on the reverseAthena Promachos (after: Morkholm,Sylloge Nummorum Graecorum,Egypt:The Ptolemies, SNG,Copenhagen,1977,no.14).

Fig. 5. A coin depicting on the obverseAlexander with the horns of Amon wearing the skin of an elephant, the reverse depicts the god Zeus sitting on a throne(after: (Smith, 1988, fig13).)

Fig. 6. A coin depicting on the obverseAlexander with the horns of Amon wearing the skin of an elephant, the reverse depicts the god Zeus sitting on a throne next to him is a lotus flower (after: Svoronos,j.N,TaNomismatatouKratous ton Ptolemaio,1904-8,pl.20

Fig. 7. A coin depicting on the obverseAlexander wearing a lion's skin cap, the reversedepicts Zeus (after: Svoronos,j.N,TaNomismatatouKratous ton Ptolemaio,1904-8,pl.1.no.7)

Fig. 9. The god Zeus in the Temple of Olympus (after: Clayton,P.A.,Price,M.J.,The Seven Wonders of the Ancient World,London,1988,Fig.30).

Fig. 11. Alexander depicted with a lion's skin (after: Hossain, Depicting Alexander sculptural figurines in Egypt between Egyptian and Greek influences, Giza through the ages, studies in archeology, written in Arabic, restoration, environment and tourism 2008, 11, fig. 8).

Fig. 8. A coin from Amphibia depicting on the obverseAlexander in the form of Heracles, the reversedepicting the god Zeus seated on the throne (after: E.C. Danien, The World of Philip and Alexander "A Syposium on Greek Life and Time", (The University of Pennsylvania, 1990), p. 77, Fig. 2.)

Fig. 10. A tetradrachm coin from Sidon

Fig. 12. A coin depicting on the obverse Alexander wearing a military helmet, from which two ostrich feathers hang, the reverse the goddess Niki (after: Wheatley,P., Baynham,E., East and West in the World Empire of Alexader, Oxford, 2015,fig.13.2)

Fig. 13. A coin depicting on the obverseAlexander wears the skin of an elephant and the horns of Amon, the reversedepicts the god Zeus sitting on a throne (after: Svoronos, 1904, pl. 2, no. 11).

Fig. 14. A tetradrachm coin depicting Alexander on the obverseand Athena Promachos on the reverse(after: Svoronos,j.N,TaNomismatatouKratous ton Ptolemaio,1904-8,pl.146).

مجلة الخليل للعلوم الاجتماعية
Al-Khalil Journal for Social Sciences
جامعة نزوى University of Nizwa
مركز الخليل بن أحمد الفراهيدي للدراسات العربية والإنسانية
Al-Khalil bin Ahmed Al-Farahidi Center for Arabic Studies and Humanities
رقم العدد: 3 السنة: 2025

المُعَدّلون وأدوارهم في مجلس القضاء في عُمان خلال الفترة (132-280هـ/749-893م)

د. خلود بنت حمدان الخاطرية
أكاديمي بجامعة التقنية والعلوم التطبيقية – مسندم- / سلطنة عُمان
khulood.h.alkhatari@utas.edu.om

ملخـــص:

تتناول الدراسة الحالية المُعَدّلون وأدوارهم في مجلس القضاء في عُمان خلال الفترة (132-280هـ/749-893م). ويُعرّف المعدل على أنه الشخص الذي يقوم بتزكية الشهود، أي: التحري عن عدالتهم في البينة التي أثبتوها بين يدي القاضي. وتتكون الدراسة من تقديم وخاتمة وثلاثة مباحث رئيسة، يتناول المبحث الأول: الأوضاع السياسية في عُمان خلال الفترة(132-280هـ/749-893م) أي الفترة الزمنية المدروسة البحث، وخُصص المبحث الثاني لمناقشة أعوان القضاة في مجلس القضاء والتي تناولتها المصادر المحلية، في حين عالج المبحث الثالث المُعَدّلون وأدوارهم في مجلس القضاء في عُمان، ويسلط المبحث الضوء على التعريف بالعدول، وشروط توليتهم، واشتراطات تنصيبهم وعزلهم، بالإضافة إلى عملية تزكية الشهادات وكيف تتم، إضافةً إلى أدوار المعدلون في مجلس القضاء في عُمان ونماذج من تزكية الشهادات والشهود وتعديلها، كما سلط المبحث الضوء على تعديل المرأة للشهادات المتعلقة بقضايا المرأة. وتناولت الخاتمة أهم النتائج.

الكلمات المفتاحية: المعدلون، تزكية الشهود، مجلس القضاء، الإمامة، عُمان.

تاريـــخ استـــلام البحـــــث:
Date of Submission:
22- 02- 2024

تاريـــخ التحكيـــــــم:
Date of Reviewing:
01- 04 -2024

تاريخ استلام النسخـــة المعدلة:
Date of receiving the revived form :
24- 04 -2024

تاريـــــخ القبـــول:
Date of acceptance :
27- 04 -2024

تاريـــخ النشـــر الرقمـــي:
Date of publication online :
01 -04 -2025

لإقتبـــاس هذا المقـــال:
For citing this article:
الخاطرية، خلود حمدان. (2025). المُعَدّلون وأدوارهم في مجلس القضاء في عُمان خلال الفترة (132-280هـ/749-893م). مجلة الخليل للعلوم الاجتماعية، العدد (3)، 36 - 46.

Role of Al-Mu'addilūn in the Judicial Council in Oman (132-280 AH / 749-893 AD)

Dr. Kholoud Hamdan Al Khatria
Academician at the University of Technology and Applied Sciences / Sultanate of Oman
khulood.h.alkhatari@utas.edu.om

Abstract:

The current study examines the roles of the Al-Mu'addilūn within the Judicial Council in Oman during the period 132-280 AH/749-893 AD. Al-Mu'addilūn are defined as the persons who recommend the witnesses, i.e.: Investigating their fairness in presenting the evidence before the judge.The study consists of an introduction, a conclusion, and three main sections. The first section addresses the political situation in Oman during the period 132-280 AH / 749-893 AD, which corresponds to the timeframe explored in this study. The second section is dedicated to discussing the role of judges' assistants within the Judicial Council, as documented by Omani sources. The third section examines Al-Mu'addilūn and their roles in the Judicial Council in Oman. This part of the study illuminates the definition of justices, the criteria for their appointment and dismissal, and the process for issuing recommendation certificates. It also explores Al-Mu'addilūn responsibilities within the Judicial Council in Oman, including examples of issuing recommendation certificates, the amendments made by witnesses, and specifically, the modifications related to women's testimonies concerning issues pertinent to women. The conclusion discussed the most important results.

Keywords: Al-Mu'addilūn, Recommendation of Witnesses, Judicial Council, Imamate, Oman.

المقدمة

نال المعدلون أهمية كبيرة في مجلس القضاء في عُمان خلال القرون الإسلامية الأولى؛ إذ أولت المصادر المحلية اهتمًا كبيرًا للتعريف بهم وبأدوارهم ومهام عملهم وطريقة اختيارهم مرورًا بآلية عملهم جنبًا إلى جنب القضاة من ارتفاع القضية إلى حين صدور الأحكام القضائية حولها. وعليه تستند أهمية الدراسة بعنوانها الحالي إلى ثلاث مرتكزات أساسية تتمثل في: الموضوع حيث تناولت الدراسة أحد أهم أعوان القضاة في مجلس الحكم في عُمان، والزمان حيث القرون الهجرية الأولى، وما يصاحبها من قلة الدراسات التاريخية العُمانية سواء في الجانب القضائي أو حتى الجوانب الحضارية الأخرى، والمكان فهو عُمان التي لا تزال مجالًا بكرًا للبحوث التاريخية.

وعليه، فإن الدراسة تطرح مجموعة من الإشكالات، لعل أهمها: غموض أدوار المعدلون ومهام عملهم، وعدم وضوح طريقة اختيارهم وعملية تزكيتهم للشهود؛ ولذا تسعى الدراسة إلى بيان تلك الأدوار والمهمات التي يقومون بها، وتوضيح اشتراطات اختيارهم وعملية تزكيتهم لشهادات الشهود. ولتحقيق أهداف الورقة البحثية، حرصت الباحثة على تطبيق المنهج الوصفي؛ وذلك عن طريق تحليل واستقراء النصوص الفقهية وتحليلها لاستخراج المادة التاريخية بما يتواءم ومباحث الدراسة.

المبحث الأول: الأوضاع السياسية في عُمان خلال الفترة(132-280هـ/749-893م)

شكّلت رسالة الدين الإسلامي منعطفًا تاريخيًا في عُمان؛ إذ تسلّم عبد وجيفر ابني الجلندى[1] كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم وأسلما طواعية (ابن خياط، 1967؛ الطبري، 1967). ولم يَحدّ هذا التحول من سُلطة بني الجلندى في عُمان، بل احتفظت عُمان لنفسها بنوع من الاستقلال السياسي خلال العهد الراشدي والفترة الأموية حتى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان؛ لموقعها الجغرافي، وظروف نشأتها التاريخية والسياسية، الذي كَفَلَ لها وضعيةً خاصة بمنأى عن أي سلطة مطلقة مستمرة (مجهول، 2005؛ العاني، 1999).

وقد أدى الارتباط الإداري بين إقليم عُمان وإقليم العراق دورًا كبيرًا في فسح المجال لوالي الخليفة عبد الملك بن مروان على العراق الحجاج بن يوسف الثقفي لضم عُمان إلى سلطة الدولة الأموية بعد تسييره جيوشًا عديدة؛ انتهت بإخضاع عُمان، وظلت كذلك إلى سقوط دولتهم. وفي الواقع؛ بدأت في هذا الوقت تحديدًا الدعوة الإباضية بالانتشار من البصرة إلى عُمان، وغيرها من أقاليم الدولة الإسلامية، واستفاد العُمانيون من جميع الإجراءات التي اتخذها الأمويون بحقهم (خليفات، 2002) إذ أثمر التنظيم السري للدعوة الإباضية عن إقامة الإمامة الأولى سنة 132هـ/751م، وأُختير الجلندى بن مسعود[2] إمامًا. ولم تلبث الإمامة أن واجهت بُعَيْدَ قيامها خصمين قويين؛ الأول: تمثل في الخوارج الصفرية[3]، الذين لم يحالفهم الحظ في عُمان، وانهزموا في موقعة جلفار الأولى 134هـ/752م، وتمثل الثاني في الدولة العباسية التي ألحقت الهزيمة بقوات الإباضية، ممَّا أدى إلى زوالها بعد عامين على قيامها (السالمي، 2000).

لقد سيطرت الدولة العباسية على عُمان خلال الفترة الانتقالية بين الإمامتين (134-177هـ)، ولكن لم يستطع العباسيون السيطرة عليها كاملة، إذ تشاركت الدولة العباسية حكم عُمان مع قوى أخرى؛ فإضافة إلى القوى العباسية التي ظلت سلطتها محدودة في الساحل؛ حيث المال والثروة، كانت هناك قوى الدعوة التي حمل لواءها دعاة المذهب من حملة العلم واتخذوا من داخل عُمان مقرًا لهم حيث دخلت الإمامة مرة أخرى طور الكتمان، كذلك وجدت القوى القبلية بزعامة آل الجلندى حلفاء العباسيين ومن والاهم من القبائل الأخرى(المعولي،2014 ؛ فوزي، 2007).

تمكّنت الدعوة الإباضية بعد ثلاثة وأربعَيْن عامًا تقريبًا من إحياء الإمامة خلال الفترة (177-280هـ/793-893م)، والتي عُرفت بالإمامة الثانية (الإزكوي، 2006 ؛ السالمي، 2000)، واستمرت أكثر من قرن من الزمان، وحكم من خلالها ثمانية أئمة جميعهم من قبيلة اليحمد الأزدية[4]. وتُصور المصادر المحلية(أبو قحطان، 1989 ؛ أبو الحواري، 1985 ؛ السالمي، 2000) عهود الأئمة الأوائل حتى تنصيب الإمام السادس الصلت بن مالك الخروصي(237-272هـ/851-885م) [5].

---

[1] . عبد وجيفر ابني الجلندى: ملكا عُمان عند ظهور الإسلام وينتسبان إلى قبيلة الأزد العُمانية. انظر: (العوتبي، 2005).
[2]. الجلندى بن مسعود: هو الجلندى بن مسعود بن جيفر بن جلندى من بني الجلندى بن المستكبر، بويع بالإمامة سنة 132هـ/749م. انظر: (البطاشي، 2016).
[3]. الصفرية:أحد فرق الخوارج وينسبون لعبد الله بن الصفار وقيل لزياد الصفار. انظر: (القلهاتي، 1984).
[4]. اليحمد: بطن من بطون الأزد، وهي قبيلة قحطانية، هاجرت ضمن القبائل العربية التي نزلت عُمان بعد رحيلها من اليمن. ينسبون إلى اليحمد بن حمي بن عثمان بن نصر بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد. وتضم قبيلة اليحمد مجموعة من القبائل بالنسب ومنها: الخروصي، وآل الحارث. انظر: (السمعاني، 1999 ؛ ابن حزم، د.ت ؛ السيابي، 1965).
[5]. الصلت بن مالك الخروصي: من قبيلة اليحمد الأزدية، يُنسب إلى محلة ستال من أعمال العوابي. تولى الإمامة بعد الإمام المهنا بن جيفر. خرج عليه قاضيه موسى بن موسى ودعا إلى عزله وعيّن بدلًا عنه راشد بن النظر. اشتهر عهد الإمام الصلت بالقوة وظهور مجموعة من العلماء. انظر: (السعدي، 2007).

بروايات تكاد تكون متطابقة، إذ تشير إلى أن هذه الفترة تُعد أزهى فترات الإمامة؛ لما شهدته من تماسك نسبي في جبتها الداخلية نتيجة الأمن والاستقرار، والرخاء الاقتصادي؛ لازدهار التجارة والزراعة، وارتفاع المستوى المعيشي، وظهور تركيبة المؤسسة السياسية للإمامة وتنظيماتها الإدارية وفق فلسفة وأفكار المذهب. من جهة أخرى؛ عكست تلك الروايات ما تميز به هؤلاء الأئمة من كفاءة إدارية، والسير على منهاج المسلمين الأوائل، والشدة على الباطل، والتشديد على المخالفين لتعاليم الإسلام ومحاسبتهم، ممَّا كان له عظيم الأثر في نشر العدل، والمساواة، وقوة السلطتين السياسية والقضائية (الكندي،1986 ؛ الإزكوي، 2006).

أما فترة الإمام الصلت بن مالك (237-272هـ/851-885م) ورغم الاستقرار السياسي لصدر إمامته؛ إلا أن حادثة عزله التي قادها القاضي موسى بن موسى[6] كانت بداية النهاية للإمامة الإباضية الثانية؛ إذ أشعلت هذه الحادثة حربًا قبلية داخل عُمان(السالمي، 2000 ؛ الريامي، 2015)،ولم تقف عند هذا الحدّ، بل اتصل شيوخ النزارية بوالي البحرين العباسي محمد بن نور[7]، واتفقا معًا على التكاتف ضد الإمامة، فاقتنصت الدولة العباسية الفرصة، وأعادت عُمان إلى سيطرتها بعد دخولها نزوى[8] وقتلها آخر أئمة الإباضية الثانية عزان بن تميم، فانتهت بذلك الإمامة الإباضية الثانية في عُمان باعتبارها كيانًا سياسيًا، إلا أن السيطرة العباسية لم تشمل عُمان بأكملها، إذ بقيت اليمانية تُدين بالولاء للإباضية (العوتبي، 2005) ختامًا؛ لقد ألقت الأوضاع السياسية بظلالها على المجتمع العُماني اجتماعيًا واقتصاديًا؛ وبالتالي تأثير مختلف مجالات الحياة بذلك كله بما فيه القضاء وتطوره وتنظيماته.

المبحث الثاني: مجلس القضاء في المصادر المحلية

مع توسع مسؤوليات القضاة في مجالس حكمهم إلى كثير من القضايا التي تخص معاملات المجتمع؛ من خصومات حول: الزواج، والطلاق، والميراث، والمغيبين، وأموال اليتامى، ومراقبة الطرقات والأسواق وحرمات الأبنية، ومضار الدواب، إضافة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقطع المناكر، وغيرها من الأدوار، كان طبيعيًا حاجة القاضي في مجلسه إلى مجموعة من الموظفين والأعوان يشتركون تحت سلطته في إنجاز المهام الموكلة إليه. ومن هؤلاء الأعوان الكاتب؛ إذ كان على القاضي وهو يقضي بين الناس أن يتوافر له كل ما يُعَيِّنه على الإصغاء، والانتباه إلى حجج الخصوم، واستماع الدعاوى والبينات، من غير انشغاله بتدوين أقوال الشهود وغيرهم ممَّن يُستدعون إلى مجلس القضاء (ابن جعفر، 2018 ؛ أبو زكريا، 1984 ؛ العوتبي، 2015؛ الكندي، 1986). بالإضافة إلى الكاتب، فقد وجد إلى جانب القضاة المستشارون الذين كانت مهمتهم تخريج المسائل القضائية فقهيًا؛ فقد استشار الإمام الصلت الخروصي قاضيه محمد بن محبوب في ثلاث قضايا تتعلق بالقتل والقصاص والدماء مثل: قضية الصلت بن نارسته، ورايس بن غسان، وقضية رجل يقال له مستكبر(الرحيلي، مخطوط رقم(1697)). أما الوكلاء، فقد أشارت النصوص الفقهية المحلية إلى أنه كان من واجبات القُضاة في عُمان تعيين الوكلاء لليتامى، والمغيبين، وزائلي العقول، وأصحاب الأمراض، وتزويج مَنْ لا ولي لها من النساء، وتنفيذ وصايا الأموات، وتقسيم الأموال بين الشركاء إن رفض الشريك الاعتراف بحق شريكه، وكذلك تعيين الوكلاء للرافضين حضور مجلس الحكم، وقضايا الزواج والطلاق، وسائر الخصومات التي لم يستطع أصحابها الوصول بدعواهم إلى مجلس الحكم؛ وتأكد القاضي أنه ممَّن يستحقون الوكالة؛ دون أن تكون الوكالة في الحدود، القصاص، الدماء، الأنفس، والجراحات(ابن جعفر، 2018 ؛ أبو زكريا، 1984).

إلى جانب ذلك، فقد احتاج القضاة في عُمان إلى المَعَدّي؛ وهو الشخص الذي يلي الأحكام بحضرة الإمام أو القاضي؛ إذ كانت مهمته متابعة تنفيذ الأحكام والقضاء إن ولّاه الإمام ذلك. وكان أول ذكر لوظيفة المعدي خلال إمامة المهنا بن جيفر الخروصي؛ إذ عين الإمام خالد بن محمد معديًا له في نزوى، كما كان زياد بن الوضاح معديًا للقاضي أبي مروان سليمان بن الحكم[9] في صحار (الكندي، 1986 ؛ السالمي،2000). وإضافة إلى ذلك؛ فقد وُجد الشراة الذين تمثلت مهمتهم في ملاحقة من تولى من الخصوم الحضور إلى مجلس الحكم (الكندي ، 1986)، كما وجد خازن ديوان القاضي ويُعنى بكل ما عند القاضي من أوراق، وإثباتات، وإقرارات المتخاصمين إليه (الإزكوي، 2018 ؛ الكدمي، 1985 ؛ العوتبي ، 2015)، إضافة إلى وجود القسّام الذي كانت وظيفته قسمة الحقوق بين مستحقيها، والإشراف على قضايا الأموال، مثل: الميراث، التركات، والوصايا (الإزكوي 2018 ؛ أبو زكريا ، 1984 ؛ الكندي، 1986؛ الكندي، 2016). إلى جانب ذلك، وُجد من

[6] موسى بن موسى: من قبيلة بني سامة النزارية، ينتسب إلى محلة إزكي، وشيخ المسلمين في زمانه، عاصر ثلاثة أئمة وهما: الصلت بن مالك الخروصي وراشد بن النظر وعزان بن تميم. خرج على الإمام الصلت بن مالك، ودعا إلى عزله فدخلت البلاد في حرب أهلية مدمرة. توفي في وقعة إزكي على يد الإمام عزان بن تميم سنة 278هـ/891م. انظر: (السعدي، 2007).
[7] محمد بن نور: والي الخليفة العباسي المعتضد في البحرين. انظر: (المسعودي، 1988 ؛ السالمي، 2000 ؛ السيابي، 1988).
[8]. نزوى:بالفتح ثم السكون، نزوة: جبل بعُمان وتحوي عد قرى يطلق على مجموعها هذا الاسم. تشتهر بصناعة الثياب المنمقة بالحرير. انظر: (الحموي، 1995،ج5، ص281).
[9] . سليمان بن الحكم: من قُضاة الإمام المهنا وولاته على صحار. عاصر مجموعة من فقهاء عصره، أمثال: سعيد بن محرز ومحمد بن محبوب. راجع: (السعدي، 2007).

يُطلق عليهم بالقومة؛ وهم الأشخاص الذين يجلسون على رؤوس القُضاة، ومهمتهم على ما يبدو من حديث الكندي المحافظة على الآداب العامة في مجالس حكم القُضاة، وتنظيم دخول الخصوم إليه(الكندي، 1915)، وعُرفت هذه الوظيفة في المشرق الإسلامي بالجلواز أو الركابية(السمناني، 1970). كما وُجد القيّاس الذي أُنيطت إليه مهمة قياس الجراحات، وتصاحب هذا الموظف من النساء الثقات إذا كانت الدعوى تتعلق بجراحات النساء (الإزكوي، 2018 ؛ العوتبي، 2005) إضافة إلى وجود الخازن الذي يحتفظ بكتب التعديل(الإزكوي، 2018).

المبحث الثالث: المُعَدّلون وأدوارهم في مجلس القضاء في عُمان

أولًا: التعريف بالعدول

لقد جاء ذكر العدل في القرآن الكريم بمعنى الأمين المستقيم من غير تخصيص؛ لقوله تعالى: (فجزاه مثل ما قتل من النعم يحكم بها ذوا عدل منكم) (سورة المائدة:5، ص95)، وقوله تعالى: (ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل) (سورة البقرة:2، ص 48) . وقد عرف ابن خلدون في مقدمته العدالة، فقال: "وظيفة دينيّة تابعة للقضاء، ومن موادّ تصريفه. وحقيقة هذه الوظيفة القيام عن إذن القاضي بالشّهادة بين النّاس فيما لهم وعليهم تحمّلا عند الإشهاد، وأداء عند التّنازع، وكتبا في السّجلّات، تحفظ به حقوق النّاس وأملاكهم وديونهم وسائر معاملاتهم" (ابن خلدون، 1988) كما أشار السمناني إلى الشاهد العدل، بقوله: "أن العدل مقابل للجور، وحقيقته التسويه بين الخصمين، وترك الميل إلى أحدهما، والعادل كل مقبول الشهادة على غيره عند السلطان والحاكم، وكل مسلم فهو عدل حتى يثبت عليه الفسق" (السمناني، 1970).

ويُعرّف المعدل في المصادر المحلية على أنه الشخص الذي يقوم بتزكية الشهود، أي: التحري عن عدالتهم في البينة التي أثبتوها بين يدي القاضي(أبو زكريا، 1984 ؛ الإزكوي، 2016 ؛ الكندي، 1986) يقول أبو زكريا في ذلك: "الذي يؤتمن على الأمانات، ولا يعرف أنه مصّر على شيء من الجنايات، مُسارع في الخيرات، مُجانب للشبهات، مأمون على ما حمله من الشهادة، وقام به ولو لم تعرف منه من الموافقة في القول ما تجب به الولاية من المحبة، ولم نعرف منه انتحالًا لدين غير دين المسلمين، وهو في ذلك يظهر التمسك بقول المسلمين في صلاته، وزكاته، وولايته، وبراءته" (أبو زكريا، 1984).

لقد كان القضاة في عُمان يقبلون شهادة الشهود إذا كانوا عدولًا معروفين بالاستقامة، والأمانة، والورع، والتقوى، أما إذا شك القاضي في عدالتهم ترك شهادتهم، وسأل عنهم وأخبر المشهود عليه أن يرد على شهادتهم دفاعًا عن نفسه، فإن ثبت عنده عدالتهم قضى به(أبو زكريا، 1984). كما كان الخصوم يحضرون شهودهم على دعواهم أمام القضاة، ويشير إلى ذلك الكندي بقوله: "وعن الخصمين إذا حضرا إلى الحاكم فدعا أحدهما بالبينة فأحضر على خصمه شاهدين.. وقال الخصم المشهود عليه ما شهد به هذان الشاهدان، فأحكم علي به أو ما شهد به، فأنا مصدقهما فشهدا عليه؛ فإذا شهد وصدقهما بعد الشهادة عليه فذلك إقرار شهدا عليه" (الكندي، 1986).

وفي أواخر القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، يرصد الشيخ القاضي أبو جابر محمد بن جعفر الإزكوي(حي:280هـ/893م) في جامعه المعروف باسمه، ما يشير إلى ظهور تطور جديد في السؤال عن الشهود، والتحري عن عدالتهم، إذ يشير إلى ذلك بقوله: "المسألة بدعة محدثة (أي تزكية الشهود وتعديلهم)، إلا أنه لما ظهرت شهادات الزور، وأخذ الناس الأموال على الشهادة، والرشا، فعند ذلك سُئل عنهم، فليتق الله الحاكم(القاضي)، فإن الناس شجرة بغي، وذبان طمع، وفراش نار، وقد بلوا بالشحناء والضغائن" (الإزكوي، 2016).

ويبدو مما سبق، أن السؤال عن الشهود وتزكيتهم لم يكن بالصلابة والحدة الذي ظهر عليه بعد ذلك، لقول الإزكوي: "أن تزكية الشهود لم تكن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا عن أصحابه.. والمسلمون عدول بعضهم على بعض، وقد نهى الله عن التفتيش عن عورات الناس، والتجسس عنها" (الإزكوي، 2016) كما لم يشدّد القضاة على وجوب تزكية الشهود من أكثر من معدل؛ فقد أجاز القاضي موسى بن علي[1] (ت:231هـ/845م) شهادة الشهود في قضية بين خصمين، بعد أن قال له المعدل: لا أعلم إلا خيرًا منهم (أبو زكريا، 1984).

والظاهر أن التشدد في السؤال عن الشهود وتزكيتهم كان بعد أن تغيرت أطباع الناس؛ فكانت تزكية الشهود لسببين: إمَّا أن يشكَّ القاضي في عدالة من شهد بين يديه، وإمَّا طلب الخصم تجريح شهادتهما؛ لظهور شهود الزور، وكثرة الرشاوى(الإزكوي، 2016 ؛ أبو زكريا، 1984).

[10] موسى بن علي: من قُضاة عُمان وفقهائها، نشأ في أسرة علمية عُرفت بالقيادة والشرف وتوليها منصب القضاء أمثال: أخويه الأزهر بن علي ومحمد بن علي كما كان والدهما قاضيًا على عهد الإمام الوارث بن كعب. وكان القاضي موسى شيخ المسلمين في زمانه وصاحب أهل الحل والعقد. راجع: (السعدي، 2007).

ورغم تثبت القضاة من عدالة العدول، وصدقهم، وأمانتهم، إلا أنهم لم يكونوا بالشكل الذي رسمه الفقهاء لهم؛ الأمر الذي استدعى ظهور تطور آخر تمثل في تحويل عملية تزكية العدول إلى عملية سرية بعد أن كانت علنية، وكان المعدلون يقومون بوظيفتهم سرًا، ولم يقبل القضاة تزكية العلن. ويصف الشيخ القاضي محمد بن إبراهيم الكندي(ت:508هـ/1115م) ذلك، بقوله: "وينبغي للقاضي إذا أرسل في تعديل البينة، بعث بها مختومة مع من لا يعرف ما فيها، حتى يوصلها إلى الذي يلي المسائلة عنها؛ لأن الناس قد أضر بهم الطمع إلا من عصم الله" (الكندي، 1986).

وفي القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، وإزاء كثرة العدول وازدياد أهميتهم وصعوبة التأكد من تزكية العدول وتعديلهم أمام القضاة في مجالس حكمهم، استحدثت وظيفة صاحب المسائل؛ لمساعد ةالقاضي في أمر البحث عن الشهود وتثبيت عدالتهم، وإلى ذلك يشير الكندي، بقوله: فإذا أجاب فيها جاء بها صاحب المسألة مختومة قد ثبتها في يد القاضي. وإن خاف أن يشهر بأنه صاحب المسائل أرسل بها مختومة مع غيره إلى القاضي حتى ينظر فيها، ثم يرسل إليه بعد ذلك سرًا ليلًا أو نهارًا حتى يسائله عما كتب إليه من الجواب فيها"(الكندي، 1986).

ورغم أن الكندي قد تفرد عن غيره من المصادر المحلية بذكره مصطلح صاحب المسائل كأحد أعوان القضاة في مجالس حكمهم، ولعدم تعريفه لهذا المصطلح أيضًا، والتفريق بينه وبين مصطلح العدول الذي أورده وتورده المصادر المحلية الأخرى؛ إلا أن يكون صاحب المسائل الوارد في بيان الشرع وظيفة قضائية جديدة استحدثت لاعتبارات وهي التي ذكرناها آنفًا، خصوصًا وأن صاحب المسائل قد ظهر ضمن تنظيمات القضاء في الدولة الإسلامية منذ القرن الثاني الهجري/ الثامن المبلادي؛ إذ كان للقاضي ابن شبرمة(ت:144هـ/761م) صاحب مسائل يُدعى الهداد(وكيع، 1974). كما كان للقاضي ابن أبي ليلى صاحب مسائل يُعَيِّنه على تعديل الشهود وتزكيتهم (وكيع، 1974)، بالإضافة إلى أنه كان للقاضي المفضل بن فضالة صاحب مسائل؛ يسأل عن عدالة الشهود وأمانتهم(الكندي، 2003م) كذلك اتخذ قاضي الخليفة هارون الرشيد على مصر عبد الرحمن بن عبدالله العمري في سنة 185هـ/ 801م صاحب مسائل يُدعيحيى بن عبدالله بن بكير(الكندي، 2003)، كما اتخذ القاضي لهيعة بن عيسى عند توليه قضاء مصر سنة 199هـ/ 814م سعيد بن تليد لمسائله، وأمره أن يجدّد السؤال عَن الشهود والموسومين بالشهادة فِي كل ستَّة أشهُر، فمن حدثت لَهُ جُراحة أوقفه عن العمل (الكندي، 2003).

هكذا أكدت المصادر المحلية على أهمية المعدلون ومكانتهم في مؤسسة القضاء العُمانية خلال الفترة الزمنية المدروسة للبحث؛ فكانت تُقام بهم الحجج وتُدحض، وتبرم الأحكام وتنقض، وتثبت الدعاوي وتبطل، وكانوا حجة القضاة فيما حكموا وطريقتهم إلى ما أنقضوا وأبرموا.

ثانيًا: شروط تولية المعدلون

لقد وضع الفقهاء شرائط كثيرة يجب توافرها في الشهود العدول؛ بحكم ارتباطهم بدائرة القضاء وعمل القضاة، منها أن يكون من أهل: العدل، الفقه، الثقة، الفضل، العفة، الورع، والرضا في الإسلام، ومن عرف عنهم الخير، ولم يعرف منهم الشر، ومن غير مرتكبي المعاصي والحرام (الإزكوي، 2016، ص122 ؛ الكندي، 1986). وقد اهتمت المصادر المحلية (الإزكوي، 2016 ؛ الكدمي، 1985 ؛ العوتبي، 2015 ؛ الكندي، 1986) بالتنظير للشروط التي يجب توافرها في المعدلين، وأكدت جميعها على ضرورة انتقائهم انتقاءً دقيقًا، فقد يكون التأكيد على أهمية الالتزام ما يوحي أن الأمر قد كان يجري على خلاف ذلك، خاصة خلال فترة الاضطرابات السياسية، وما ينجم عنها من كثرة شهادات الزور، وانتشار الطمع، وفساد طباع الناس، الأمر الذي يستدعي ضبط شهادة الشهود، والتأكد منها؛ كما حدث أيام الإمام الصلت بن مالك الخروصي، حين نادى الخارجون عليه، منهم القاضي موسى بن موسى؛ بعزل بعض المعدلين بعد أن وصفهم بالفسقة(أبو المؤثر، 1986).

وقد سئل الفقهاء عما يجب أن يتوفر في الشاهد العدل، فقالوا: ينبغي للعدل أن يكون من خيار أهل بلده، ومن أخيار المسلمين الصالحين وأفضلهم, ومن أهل الولاية والبراءة (الإزكوي، 2016). وقد أشار الكندي إلى شروط تولية المعدلون، فقال: "إذا عُرف المعدل بالمسارعة إلى الخير، وحضور صلاة الجماعة، فليعدله ويتولاه ويجيز شهادته، وإذا عرف منه شرًا طرحه، وإذا لم يعرف منه خيرًا ولا شرًا وقف عنه" (الكندي، 1986).

ثالثًا: تنصيب العدول وعزلهم

لم تقتصر مهمة القضاة في عُمان على مراقبة العدول والتأكد من تزكيتهم وعدالتهم، بل كان القاضي مسؤولًا مع الإمام عن عملية اختيار العدول وتنصيبهم أو إسقاط عدالتهم وعزلهم. ويشير صاحب جامع ابن

جعفر إلى ذلك بقوله: "وإذا كان في البلد معدل منصوب للتعديل نصبه لذلك إمام عدل أو قاضي، فهو الذي يسأل عن تعديل أهل بلده، وإن كان في البلد اثنان أو ثلاثة أو أكثر سئلوا جميعًا، فإن عدل واحد وطرح واحد أخذ بتعديل الذي عدل إلا أن يطرح المعدلان الباقيان أو يجرحاه أو يجرحه عدلان غيرهما" (الإزكوي، 2016).

من جانب آخر، فقد أوكل بعض القضاة للولاة في الأقاليم والبلدان بتعيين المعدلين لتزكية الشهادات وتعديلها، كما ينقل ذلك عن القاضي أبو عبدالله محمد بن محبوب الرحيلي[11](ت:260هـ/873م)، قوله: "وينبغي للوالي في ولايته إذا ولي أن يقدم على كل بلد ثقةً أمينًا، ويسأل عن ثقات البلد أهل الفضل في دينهم وثقتهم فيوليهم أمر البلاد ويجعل التعديل إلى المعدلين المنصوبين ويكون وليه الثقة هو الذي يرفع إليه التعديل ويلي مسألة المعدلين بنفسه.. وعلى الإمام والقاضي أن يقبلا من الوالي إذا كتب إليهما أن واليه الثقة عنده كتب إليه إنه قد عدل عنه شاهدًا، أو وكالة من رجل لرجل.."الإزكوي، 2016 ؛ الكندي، 1986).

ولقد تشدد القضاة في أمر قبول تعديل الشهادات وتزكيتها، فلم يقبلوا التعديل إلا عن المعدلين المنصوبين إذا كان في البلد معدل منصوب، أما إذا لم يكن في البلد معدل سأل القاضي الثقات من أهل البلد الذين يبصرون ما تثبت به العدالة والطرح. وقد أشارت المصادر المحلية إلى بعض الشواهد التي رفعت فيها عدالة الشهود وطرحت، بعد ثبوت عدم عدالتها وتزويرها فرفضها القضاة دون تهاون وتقاعس، ومن تلك الشواهد: رفض شهادة رجل غيّل غيلة في أرض صافية؛ أي أنه صنع قوالب الطين من تراب الصوافي التي تملكها الإمامة وهي لعموم المسلمين؛ فعلى ذلك جُرحت عدالته وأُسقطت شهادته في مجلس القضاء(أبو زكريا، 1984 ؛ الكندي، 1986)؛ كما لم يقبل القضاة تعديل الوكلاء ولا الأوصياء على من وكلهم وأوصى بهم إن لم يكونوا ثقة نقلًا عن أبو المؤثر الصلت بن خميس[12](ت:ق3هـ/9م) (أبو زكريا، 1984 ؛ الإزكوي، 2016 ؛ الكندي، 1986)، كما تجنب القضاة تنصيب المعدولون من أهل الذمة؛ لقول أبي زكريا: "وقد كان بصحار[13]قوم يسألون عن التعديل، الظن بهم أنهم من أهل الخلاف، ولم يكن يظهر منهم يعقوب بن المؤمل، وداود بن الأشرس، وما أعلم أن يُقام في أهل الذمة معدل" (أبو زكريا، 1984 ؛ الكندي، 2016).

ورغم تنظير المصادر المحلية - كما رأينا- للمعدلون كأحد أهم وأبرز أعوان القضاة، وارتباط عملهم بأكثر القضايا التي تداولها القضاة في مجالسهم، إلا أن تلك المصادر لم تطلعنا على أسماء المعدلون، وتاريخ تعديلهم وتنصيبهم عدولًا في مجلس القضاء العُماني، ولا تطلعنا أيضًا إن كان هناك من العدول قد جرى عزلهم وإبعادهم وإسقاط عدالتهم.

رابعًا: عملية التزكية والتعديل

أما عن عملية تحري عدالة الشهود؛ فيتم ذلك بتوجه المعدلون سرًا بكتاب القاضي الذي عليه ختمه إلى موضع سكن الشهود ومحل إقامتهم، ويباشرون عملهم هناك بالتأكد عن كل ما سجله الكاتب عنهما. فإن أخبر اثنان من المعدلين بعدالة الشهود؛ قِبَل القاضي شهادتهما، وإن أخبراه بجرحهم، وعدم عدالتهم؛ ردَّ القاضي الشهادة، أما إن أخبره أحدهما بالعدالة، والآخر بالجرح؛ بعث آخرين بالتعديل، فإن انضم واحد منهما إلى جانب العدل؛ قِبَل شهادة الشهود؛ وإن انضم إلى جانب الجرح؛ ردَّ القاضي شهادة الشهود (الإزكوي، 2016 ؛ أبو زكريا، 1984).

وقد تستمر عملية تزكية الشهود بين الجرح والتعديل فترة طويلة تتراوح بين أربعة إلى ستة أشهر؛ كما كان القاضي موسى بن علي يفعل مع شهادة الشهود في مجلس حكمه (الإزكوي، 2016 ؛ الكدمي، 1985). ويشير الكندي إلى عملية تزكية الشهود، فيقول :"فإذا كان اثنان أو ثلاثة فعدل واحد وطرح واحد أخذ (القاضي)تعديل الذي عدل إلا أن يصح ذلك معه آخر على ما يخرج الشاهد. وإن كانوا ثلاثة فعدل واحد وطرح اثنان أخذ بطرحهما إذا جرحا" (الكندي، 1986).

خامسًا: أدوار المعدلون ونماذج من تعديل الشهود

إن قرار القاضي في قضية ما إنما يكتسب شكله النهائي بناءً على شهادة الشهود العدول، وتختلف صيغ هذا القرار من قضية لأخرى؛ فقد أشار الكدمي إلى صيغة قرار أحد القضاة قائلًا "اشهدوا أني قد قضيت بما في هذا الكتاب، وأنفذت الحكم به" (الكدمي، 1985). من جانب آخر فقد أشار أبو زكريا إلى صيغة أخرى، ذكر فيها تزكية أحد القضاة لشهادة تتعلق بالميراث، فقال: "اقسم أن ما صح عندك بشاهدي عدل لفلان بن فلان من المال على جميع ورثته على سهام كتاب الله فإن احتج فيه أحد، وفسر حجة فارفعهم إلي" (أبو زكريا، 1984).

[11] محمد بن محبوب: من فقهاء عُمان وقضاتها، تولى رئاسة أهل الحل والعقد كما كان المتحدث الرسمي خلال فترة الإمام الصلت بن مالك. وقد عاصر من الأئمة: عبد الملك بن حميد، والمهنا بن جيفر إضافةً إلى الصلت بن مالك. له الكثير من الآثار العلمية. راجع: (السعدي، 2007).
[12]أبو المؤثر الصلت بن خميس: من فقهاء القرن الثالث الهجري، له العديد من الآثار العلمية، وأشهر سيره الأحداث والصفات، والبيان والبرهان. لمزيد من التفاصيل، راجع: السعدي، 2007).
[13] . صحار: قصبة عُمان مما يلي الساحل. وصحار مدينة طيبة الهواء والخيرات والفواكه، مبنية بالآجر والساج، كبيرة ليس في تلك النواحي مثلها. وهي دهليز الصين وخزانة الشرق. لمزيد من التفاصيل، راجع: (الحموي، 1995 ؛ المقدسي، 1991).

أما إذا طلب أحد الخصوم التأجيل إلى حين إحضار البينة، فإن الصيغة تكون على النحو الآتي: "تأجّل فلان بن فلان، في إحضار بيّنته، على فلان بن فلان، في كذا. وأجّلته إلى يوم كذا، من شهر كذا". (الكندي، 1986 ؛ الكندي، 2016).

وقد أشار الكندي إلى صيغة أخرى للقضاة يكتبها للخصم إن لم يحضر بيّنته بعد انقضاء الأجل الذي أعطاه إياه، فذكر: "تخلّف فلان بن فلان، عن موافاة فلان بن فلان، ولم يحضر سماع البيّنة، واحتجَّ على خصمه، فإن كان تخلّفه عن الموافاة لمرض أصابه، أو لمصيبة موت فيمن يلزمه، فلا يلزم أمره، وأمر صاحب البيّنة بردّها حتى يسمعها الحاكم بمحضر من خصمه" (الكندي، 1986).

كما عدَّل القاضي محمد بن محبوب شهادة الصلت بن نارسته زمن الإمام الصلت بن مالك الخروصي بناءً على طلب الأخير، فأرسل ابن محبوب إليه قائلًا: "واعلم رحمك الله أني سألت عن ذلك أحمد وعمر ابني الفضل، فشهد أحمد بن الفضل على معرفته باسمه، ونسبه، وموته في سنة إحدى وخمسين ومائتي سنة، وفي آخر سنة خمسين ومائتي سنة شهد عمر بن الفضل على موته في هذا الوقت، ولكن لا يشهد على معرفته واسمه ونسبه ولا بقوله، ولا بقول من لا يقف على معرفتهم، ولا على صحة عدالتهم، فرأيت ذلك ضعيفًا. وقد ذكر محمد بن سعيد بن محرز أن عندهم أخو شهد بمثل شهادة أحمد بن الفضل، فإن احتجوا ذلك عندي كتبت به إليك إن شاء الله" (الرحيلي، مخطوط رقم(1697)).

كما أشار صاحب المصنف إلى صيغة أخرى للتعديل، استخدمها أحد المعدلون لإثبات أحقية أحد الأيتام للمال والكسوة، يقول فيها: "أشهد الوالي فلان والي الإمام فلان على قرية كذا، أنه قد صح معي معرفة فلان اليتيم، وموت والده، بشاهدي عدل، وطلبت والدته فلانه أن تأخذه وتعوله بفريضة يفرضها له الإمام في ماله. وإني قد فرضت برأيي ومن حضرني من الصالحين لفلان اليتيم في كل شهر كذا حباً وكذا تمراً، وكذلك فضة لأدمه ودهنه وله الكسوة إذا احتاج إليها برأي العدول وأثبت فلانا اليتيم بما فرضت له عند والدته وجعلت لها أن تجري هذه الفريضة على ولدها هذا من عندها وهي لها دين في ماله إلى أن يقبضها أو يحتاج إلى زيادة أو يحدث الله له أمرًا. وأول هذه الفريضة يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا. وصلى على رسوله محمد النبي وآله وسلم" (الكندي، 20016).

لقد نال المعدلون مكانة خاصة في مؤسسة القضاء العُماني خلال القرون الثلاثة الهجرية الأولى؛ نظير المسؤوليات والمهام الواسعة التي أُوكلت إليهم؛ إذ تتمثل أول واجباتهم في الشهادة على دفاتر حُكم القاضي وما حَكم فيها من فرائض وأموال الناس؛ كما فعل القاضي أبو مروان سليمان بن الحكم حين أشهد عدولًا على دفاتر حكمه، وهو ما جعل القاضي محمد بن محبوب يستكمل النظر في الدعاوى التي دونها ويصدر حكمًا فيها (الكدمي، 1985 ؛ الكندي، 2016).

كما كان لعدول القُضاة في عُمان دورٌ آخر تمثل في الوقوف على قضايا الأصول والعروض مثل دعاوى: الدور، والزروع، والأراضي، ومضار الحيوانات، والأفلاج، وغيرها من القضايا التي احتاجت الوقوف عليها، ومعاينة الضرر في المحل المتنازع عليه، فكانت هذه المهمات تُسلم للعدول مباشرة، كما فعل الإمام القاضي غسان بن عبدالله[14]حين حَكم بقيمة العدول في فلج الخطم(الكندي، 2016)، والإجراء نفسه اتَّبعه القاضي الأزهر بن علي في قضية فلج أهل السر[15]، حين أرسل العدول الذين قاموا بمراقبة عملية زجر الآبار؛ وتضرر ماء فلج السر، وسجلوا جميع وقائع القضية؛ وتدارسوا تفاصيلها ؛ ليسلموها بعد ذلك للقاضي الأزهر بن علي الذي بدوره بنى عليها حكمه، فتكون شهادة العدول في هذه الحالة والحالات المشابهة لها، ورأيهم حجةً للقاضي فيما يحكم، وطريقُه إلى ما ينقض من الأحكام، وما يُبرم منها (الكدمي، 1985).

ومن بين الحالات التي احتاج فيها القاضي موسى بن علي إلى شهادة العدول، قضية تضرر أحد الأفلاج من عملية زجر الآبار القريبة منه. وينقل الكندي هذه الحادثة موضحًا أهمية ودور العدول في القضية، بحضور القاضي محمد بن محبوب الرحيلي، فقال: "حضرت (أي القاضي محمد بن محبوب) موسى بن علي، وقد تنازع إليه (أي القاضي موسى بن علي) قوم في ماء فلجهم الذي ينقص من زجر البئر[16]، فقلت: يا أبا علي ولو أحضروك شهوداً يشهدون على ما دعوتهم به، أكنت تقبل شهادتهم على الغيب؟ قال: فما تقول أنت يا أبا عبدالله (محمد بن محبوب)؟ فقلت: تقف العدول على هذا الفلج([17]) وهذا البئر، لا تزجر، وينظرون موضع منتهى الماء في جريه من ناحية هذه البئر. ثم يأمرون أن يزجروا هذه البئر والعدول ينظرون إلى ضرب ماء الفلج، فإن لم يروه نقص عما كان من قبل أن تزجر هذه البئر لم يصرف أهلها عن زجرها.

[14] غسان بن عبدالله: ثالث أئمة الإمامة الإباضية الثانية في عُمان، وقد تولى الإمامة خلال الفترة (192-207هـ/807-822م). ولاه الإمام الوارث بن كعب قبل توليه الإمامة ولاية صحار وقضائها. راجع: (الكندي، 2016).
[15] السر: منطقة بالظاهرة وتشمل بلدان العَيْنين والعراقي والغبي. راجع: (السيابي،1995).
[16] زجر البئر: عملية استخراج الماء من البئر/ الطوي، والزاجرة عجلة مصنوعة من الخشب وتعرف في ظفار بالسناوة. راجع: (مجموعة باحثون، 2007).
[17] الفلج: مفرد جمعه أفلاج، وهو نبع مائي يجري عبر قنوات مشقوقة في باطن الأرض لاستخراج الماء إلى سطح الأرض على شكل قنوات وسواقي. راجع: (مجموعة باحثون، 2007).

وإن رأى العدول ماء هذا الفلج نقص عما كان من قبل أن تزجر هذه البئر؛ صرف أهل هذه البئر عن زجرها" (الكندي، 2016).

ولعدول القُضاة دورٌ آخر في تصديق بينات الشهود في القرى والبلدان التي يتعذر على أهلها حمل بيناتهم إلى القاضي؛ بسبب الفقر، أو المرض، أو مصيبة الموت، ففي هذه الحالات يأمر القاضي الوالي بإرسال العدول يكتبون شهادتهما وتعديلهما، ويبعث به مع ثقة إلى القاضي ليحكم في ما كتب إليه(الكندي، 2016). من جانب آخر؛ أشارت المصادر الفقهية إلى دور العدول أيضًا في تقييم كل ما رفع إلى الحاكم ووجبت له قيمة، مثل: تقدير البيوع، وقياس المضار وحرمات الطرق، وغيرها من الدعاوى التي رجع القُضاة في معرفة قيمتها إلى العدول من أهل المعرفة بقيمتها (الكندي، 1986؛ أبو الحواري، 1985)، بالإضافة إلى دور العدول في عملية قسامة أموال اليتامى وتحديد الفرائض الواجبة لهم، يقول الكندي حول ذلك: "وإذا صح مع الحاكم (القاضي)معرفة اليتيم وموت والده، وطلبت والدته أو غيرها ممن يكون معه أن يأخذه بالفريضة؛ فإن كان غلاماً وقف بين يديه، ونظر هو ومن حضر من العدول قدر ما يستحق لنفقته، ففرضه له"(الكندي، 2016).

ورغم أن المصادر المحلية لا تُعطي أمثلة على أسماء المعدلين، ومُزكيهم وتاريخ تزكيتهم أمام القاضي، إلا أن الوصف النظري لمؤسسة القضاء في عُمان ولكثير من المشتغلين فيها كالعدول مثلًا تنطبق على الواقع؛ فالشروط التي وضعها فقهاء عُمان لتولي العدول وازدياد المهمات التي أوكلت إليهم، إضافةً إلى حجم المادة التفصيلية التي أوردتها المصادر المحلية الأولى حول المعدلين (الإزكوي، 2016 ؛ أبو زكريا، 1984 ؛ الكدمي، 1985 ؛ الكندي، 1986 ؛ الكندي، 2016)؛ إنما تدلل مجتمعةً على علو المكانة التي تبوأها المعدلون في مؤسسة القضاء العُماني منذ وقت مبكر من تاريخ عُمان، فاستُعَيَّن بهم في مهمات القضاء نيابة عن القاضي، إذ أشار أبو زكريا إلى أن القاضي مسعدة بن تميم كان أول من سأل عن الشهود إبَّان توليه القضاء زمن الإمام الوارث بن كعب الخروصي (أبو زكريا، 1984 ؛ الكندي، 1986). كما أورد مجموعة من المؤرخين أن القاضي أبا علي موسى بن علي كان يسأل عن الشهود، ويقوم بتعديلهما من أربعة أشهر إلى ستة أشهر قبل تنفيذه الحكم، إن ظهر له أمرٌ يستحق مساءلته فيه، كما روى عنه أنه سأل عن شهادة رجل، فقيل له: لا نعلم منه إلا خيرًا، فأجاز شهادته(الإزكوي، 2018 ؛ أبو زكريا، 1984؛ الكندي، 1986).

ويبدو أن القاضي موسى بن علي لم يكتفِ بتعديل الشهود من المسلمين فحسب؛ بل قام بتزكية الشهود من أهل الذمة؛ فقد أشار الكندي إلى أنه أرسل كتابًا إلى الوالي القاضي أبي مروان سليمان بن الحكم يأمره أن يتحرى عدالة مجوسيين من أهل صحار شَهدا معه، فما كان من أبي مروان إلا أن أرسل مَنْ يعدلهما، ويسأل عن معاملتهما، وأمانتهما، وبيعهما، وشرائهما مِنْ يلي الزمزمة([18]) مِنَ المجوس في صحار. وينقل الكنديان الحادثة، فيقول: "من أبي مروان إلى أبي علي: إنك كتبت إلي بالمسألة عن شاهدين شهدا معك، من المجوس بصحار، لرجل مجوسي على مجوسي، وإني أمرت بالمساءلة عنهما من يعرفهما من أهل الصلاة، وأمرت الذي يسأل عنهما: أن يسأل عن معاملتهما وأمانتهما وبيعهما وشرائهما، فزعموا أنهما محمودان في ذلك كله في دينهما، ويسأل عنهما من يلي الذمة من المجوس ودينهما. وزعم أنه يسأل عنهما فعدلا وحمدا" (الكندي، 1986 ؛ الكندي، 2016).

إلى جانب ذلك، نصح الإمام الصلت بن مالك واليه على هجار[19] غسان بن خليد[20] بتعديل شهادات الشهود، وأمره بتحري الثقة فيمَن يختاره من المعدلين، فقال له: "ولا تأخذ تعديل الناس إلا بالثقات الذين لا شبهة في صلاحهم، ولا يختلف في عدلهم فأولئك فأسأل وعنهم فاقبل"(السالمي، 2000).

سادسًا: المرأة والتعديل في مجلس القضاء في عُمان

لقد كان للمرأة حضورٌ في التراث القضائي في عُمان تنظيرًا وواقعًا مُعاشًا رغم أن الشرع الإسلامي لم يُجَّوز توليها القضاء(الكندي، 2016)، إلا أنه أجاز لها تقديم شهادتها في مواضع عدة[21]، يقول القاضي محمد ابن جعفر: "ويُنفذ الحق بإقرار أو بشهادة رجلين عدلين ورجل وامرأتين، ولا تجوز شهادة النساء مع الرجال إلا فيما لا يستطيع الرجل النظر إليه، من نفاس النساء وما يكون في الفرج من العذرة البكر والعرق وصحة حياة المولود في الرضاع (الإزكوي، 2018). من جانب آخر؛ قدّمت المسائل الفقهية المرأة أمام القُضاة في مجالسهم كأحد أعوان القاضي في الخصومات المتعلقة بالنساء، إذ كان يُقبل تعديلها، وتشير المصادر المحلية إلى ذلك بقولها: " ويقبل التعديل من المرأة الثقة التي تُبصر ما تثبت به الولاية والبراءة[22] إذا لم يوجد من يعرفه من ثقات الرجال" (الإزكوي، 2018 ؛ الإزكوي، 1985 ؛ الكندي، 2016).

[18] الزمزمة: هم طائفة من المجوس الزرادشتية ورئيسهم يُدعى خواق من رستاق نيسابور وكان زمزميًا يعبد النيران ثم دعا المجوس إلى ترك الزمزمة، والزمزمية كلام المجوس عند الأكل وهم صموت. لمزيد من التفاصيل حول ذلك، راجع: (الشهرستاني، د.ت).
[19] هجار: من قرى العوابي ويسكنها بنو خروص. لمزيد من التفاصيل، راجع: (الحديدي، 1982).
[20] غسان بن خليد: من والولاة القُضاة زمن الإمام الصلت بن مالك. كتب له الإمام عهدًا بتعيّنه ويعتبر من العهود الجديرة بالاهتمام باعتباره أول عهد يتم بموجبه تعيين وال قاض في عُمان. راجع: (الكندي، 1986).
[21] يورد الفقهاء الإباضية أقوال مختلفة في قبول شهادة المرأة، إذ يرى بعضهم أن شهادتها جائزة في جميع الشهادات إلا الزنا، ويرى آخرون أن شهادتها لا تجوز في القصاص، ولا الحدود، ولا القود. راجع: ابن جعفر، 2018 ؛ الكندي، 2016).

من جانب آخر، فقد أُعطيت المرأة مهمة قياس جراحات النساء، ويشير الإزكوي إلى ذلك بقوله: "وكذلك المرأة الثقة التي تقيس برأي الحاكم جراحات النساء في الحكم، ويحتج له في البلد قيل: يقبل قولها في القصاص والأرش" (الإزكوي، 2018). بالإضافة إلى قول الكندي في ذلك: "وإن أصابت الجراحة النساء، أمر الحاكم "القاضي" امرأة ثقة أن تقيس جراحاتها، ويقبل قولها في القصاص والدية ولا يجوز في ذلك إلا الثقة" (الكندي، 2016).

كما اعتمد بعض القضاة في عُمان على المعدلون من النساء إذا تعذر وجود المعدلون من الرجال في القرى والبلدان التي تولوها، ويشير الكندي إلى ذلك، بقوله: "أن القاضي يسأل المعدل فإن لم يكن معدل قبل تعديل النساء إذا كن ثقة، وإذا لم يعرف الشاهد أحد المعدلين لموضع جهله جاز تعديل المرأة إذا كانت تُبصر العدالة، وكذلك إن لم يكن في البلد معدل من الرجال" (الكندي، 1986). من جانب آخر فقد استعان القضاة بشهادة المرأة العدول على قضايا الرضاع، يقول صاحب المصنف في ذلك: "ولا يحكم الحاكم إلا بشهادة العدول من الرجال في جميع الحكومات كلها، على اختلافها وصنوفها، من جميع الملل كلها، إلا ما اختلفوا فيه من شهادة غير العدلة من النساء في الرضاع، على فعل نفسها وليس بالمعمول به اليوم إلا أن تكون عدلة، فإن شهادة العدلة في ذلك جائزة" (الكندي، 2016).

ومن بين الواجبات التي احتاج فيها القُضاة إلى العدول من النساء؛ قضايا الأحوال الشخصية مثل حالات الزواج والطلاق، إذ كان العدول يقومون بالسؤال عن النساء، والتثبت من شخصياتهم في دعاوى تزويج مَنْ لا ولي لها، للتأكد من ادعائها بعدم وجود أولياء لها (الكندي، 1986)، وكذلك دور العدول في قضايا تشخيص النساء بحضور نساء عدول ممَّن يثق فيهم القاضي والمعدل، خصوصًا إذا ما ادعى الرجل عيبًا خلقيًا في المرأة التي تزوجها، أو أراد الزواج منها، وكذلك في دعاوى العذر، أو السقط والرتق، وموت المرأة في النفاس، وخروج الولد وبه حياة، وقياس جراحات النساء. يقول الكندي في دور المرأةوتعديلها في هذه المسائل: "وإذا أنكرت المرأة أنها ليست برتقاء، فعليها اليمين ما تعلم أنها رتقاء، وإلا فعليها صحة ذلك بمن يثق بها من النساء" (الكندي، 2016).

الخاتمة

أولًا: أكَّدت الدراسة أن التراث القضائي في عُمان قد تناول أعوان القاضي تنظيرًا في كثير منها دون أن تصلنا تفاصيل حولها بدءًا بمن تولى تلك المناصب إلى طبيعة مهامها وسير عملها في مجلس القضاء في عُمان خلال الفترة المدروسة للبحث؛ عدا منصبي المعدي الذي ذكرته المصادر الفقهية لأول مرة زمن إمامة المهنا بن جيفر الخروصي، ومنصب المعدل الذي تناولته المصنفات الفقهية بصورة أكثر تفصيلًا عن غيره من المناصب المرتبط بأعوان القضاة.

ثانيًا: أثبتت الدراسة أن عُمان لم تكن يومًا بمعزل عمَّا يجري في العالم الإسلامي، ومن ضمنها القضاء؛ إذ تشير المصادر الفقهية المحلية تنظيرًا إلى مجموعة من أعوان القضاة ومساعديهم والتي تتماثل مهامها ومسمياتها مع نظيراتها من موظفي مجلس القضاء في مصادر أدب القُضاة العامة، وإن كانت الثانية أكثر تفصيلًا وأكثرها ثراء؛ لما حوته من تفاصيل في مهام هؤلاء الأعوان، ورواتبهم، وأسمائهم، ومكان توليهم، وهذا ما افتقدته المصادر المحلية عند تنظيرها لأعوان القاضي.

ثالثًا: وضحت الدراسة أن عملية تعديل الشهادات كانت نتاج تغير أطباع الناس؛ فكانت تزكية الشهود إمَّا لأن القاضي شكَّ في عدالة من شهد بين يديه، وإمَّا طلب الخصم تجريح شهادتهما؛ لظهور شهود الزور، وكثرة الرشاوى.

رابعًا: أكدت الدراسة على أن عملية تعديل الشهادات مرت بمرحلتين؛ تمثلت الأولى في عملية تعديل شهادة الشهود بشكل علني وأمام الناس، ثم تحولت العملية إلى سرية، بالإضافة إلى ظهور تطور آخر تمثل في استحداث وظيفة صاحب المسائل وكانت مهمته البحث عن الشهود وتثبيت عدالتهم وكانوا يُختبرون كل ستة أشه للتأكد من أمانتهم وعدالتهم.

خامسًا: أشارت الدراسة على أن مهمة القضاة في عُمان لم تقتصر على مراقبة العدول والتأكد من تزكيتهم وعدالتهم، بل كان القاضي مسؤولًا مع الإمام عن عملية اختيار العدول وتنصيبهم أو إسقاط عدالتهم وعزلهم، وكانت عملية تزكية الشهود تستمر بين الجرح والتعديل فترة طويلة تتراوح بين أربعة إلى ستة أشهر؛ كما كان القاضي موسى بن علي يفعل مع شهادة الشهود في مجلس حكمه.

[22] الولاية والبراءة: من أصول الدين عند الإباضية. وانفرد السالمي بتسميته علم الولاية والبراءة في العقيدة، واضعًا له أقسامًا وتفصيلات. وتشمل تصنيفات هذا العلم المسلمين أفرادًا وجماعات، وخاصتهم، وعامتهم، ورعيتهم، وولاة أمورهم. وموضوعه أحوال المكلف. وثمراته التوصل إلى رضوان الله بموالاة أوليائه، ومعاداة أعدائه، وائتلاف المؤمنين، واجتماع شملهم، ومجانبة الفساق واعتزالهم. ومن أشهر المؤلفات التي كتبت حول هذا العلم، كتاب الاستقامة للكدمي في القرن الرابع الهجري، وكتاب التخصيص للشيخ أحمد بن عبدالله الكندي. راجع: (مجموعة باحثون، 2007).

سادسًا: أكدت الدراسة إلى أن عملية تحري عدالة الشهود؛ كانت تتم بتوجه المعدلون سرًا بكتاب القاضي مختومًا إلى موضع سكن الشهود؛ للتأكد عن كل ما سجله الكاتب عنهما. فإن أخبر اثنان من المعدلين بعدالة الشهود؛ قِبَل القاضي شهادتهما، وإن أخبراه بجرحهم، وعدم عدالتهم؛ ردَّ القاضي الشهادة، أما إن أخبره أحدهما بالعدالة، والآخر بالجرح؛ بعث آخرين بالتعديل، فإن انضم واحد منهما إلى جانب العدل؛ قِبَل شهادة الشهود؛ وإن انضم إلى جانب الجرح؛ ردَّ القاضي شهادة الشهود.

سابعًا: بيَّنت الدراسة مهام المعدلون التي تمثلت في إثبات أحقية الأيتام وقسامة أموالهم وتحديد الفرائض الواجبة لهم، والشهادة على دفاتر حُكم القاضي وما حَكم فيها من فرائض وأموال الناس؛ كما فعل القاضي أبو مروان سليمان بن الحكم، والوقوف على قضايا الأصول والعروض مثل دعاوى: الدور، والزروع، والأراضي، ومضار الحيوانات، والأفلاج؛ كما فعل الإمام القاضي غسان بن عبدالله حين حَكم بقيمة العدول في فلج الخطم، وكما فعل القاضي الأزهر بن علي في قضية فلج أهل السر، ولعدول القضاة دور آخر في تصديق بينات الشهود في القرى والبلدان التي يتعذر على أهلها حمل بيناتهم إلى القاضي؛ بسبب الفقر، أو المرض، أو مصيبة الموت، ودور العدول أيضًا في تقييم كل ما رفع إلى الحاكم ووجبت له قيمة، مثل: تقدير البيوع، وقياس المضار وحرمات الطرق.

ثامنًا: أكَّدت الدراسة على حضور المرأة كمعدلة في القضايا المتعلقة بالنساء وكانت مهمتها تتمثل في؛ قضايا الأحوال الشخصية مثل: حالات الزواج والطلاق، وتزويج مَنْ لا ولي لها، للتأكد من ادعائها بعدم وجود أولياء لها، وكذلك في قضايا تشخيص النساء بحضور نساء عدول ممَّن يثق فيهم القاضي في دعاوى العذر، أو السقط والرتق، وموت المرأة في النفاس، وخروج الولد وبه حياة، وقضايا الرضاع.

قائمة المصادر والمراجع:

ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد(ت:456هـ/1064م) (د.ت). جمهرة أنساب العرب. تحقيق: عبد السلام هارون، ط5، دار المعارف.

ابن خياط، خليفة بن خياط (ت: 240هـ/ 854) (1967). تاريخ خليفة بن خياط. تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط2، مؤسسة الرسالة.

أبو المؤثر، الصلت بن خميس (ت: ق3هـ/9م) (1986). سيرة الأحداث والصفات. ضمن كتاب السير والجوابات، تحقيق: سيدة اسماعيل كاشف، ط1، وزارة التراث والثقافة.

الإزكوي، أبو محمد الفضل بن الحواري(ت:278هـ/892م) (1985). جامع الفضل ابن الحواري. ط1،وزارة التراث والثقافة.

الإزكوي، سرحان بن سعيد (حي: ق12هـ/18م) (2006). كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة. تحقيق: حسن محمد النابودة، ط1، دار البارودي.

الإزكوي، محمد بن جعفر (حي، ق:3هـ/9م) (2018). الجامع لابن جعفر. تحقيق: جبر محمد الفضيلات، راجعه: أحمد صالح الشيخ، ط3، وزارة التراث والثقافة.

البطاشي، سيف بن حمود (2016). إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عُمان. ط4، مكتبة المستشار الخاص لجلالة السلطان لشؤون التاريخية.

الحديدي، عادل(1982). المرشد العام للولايات والقبائل في سلطنة عُمان. ط1، وزارة الداخلية.

الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبدالله (ت:622هـ/1225م) (1995). معجم البلدان. ط2، دار صادر، بيروت.

خليفات، عوض محمد(2002). نشأة الحركة الإباضية. ط1، وزارة التراث والثقافة.

الرحيلي، محمد بن محبوب(ت:260هـ/873م) (د.ت)، سيرة في السياسة الشرعية لأبي عبدالله محمد بن محبوب، مخطوط رقم (1697)، الناسخ: عبدالله بن عمر، تاريخ النسخ: 531ه/ 1136م)، نسخة وزارة الثقافة والرياضة والشباب، مكتبة الفاضل أحمد بن علي الناصري، محافظة الظاهرة، ولاية عبري.

الريامي، علي بن سعيد (2015). قضية عزل الإمام الصلت بن مالك الخروصي. ط1، بيت الغشام.

السالمي، عبدالله بن حميد (ت:1332هـ/1913م) (2000). تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان. د.ط، مكتبة الإمام نور الدين السالمي.

السعدي، فهد بن علي(2007). معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية. ط1، مكتبة الجيل الواعد.

السمناني، علي بن محمد(ت:499هـ/1105م) (1970). روضة القُضاة وطريق النجاة. تحقيق: صلاح الناهي، د.ط، د.ن.

السيابي، سالم بن حمود(1995). العنوان عن تاريخ عُمان. (طُبع على نفقة الشيخ أحمد بن محمد الحارثي).

الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم(ت:548هـ/1153م) (د.ت). الملل والنحل. ط1، مؤسسة الحلبي.

الطبري، محمد بن جرير (ت:310هـ/922م) (1967). تاريخ الرسل والملوك. ط2، دار التراث.

العاني، عبدالرحمن عبدالكريم(1999). تاريخ عُمان في العصور الإسلامية الأولى. ط1، دار الحكمة.

العوتبي، أبو المنذر سلمه بن مسلم (ت: ق:5هـ/11م) (2005). الأنساب. تحقيق: إحسان النص، ط4، وزارة التراث والثقافة.

العوتبي، أبو المنذر سلمه بن مسلم (ت: ق:5هـ/11م) (2015). الضياء. تحقيق: سليمان الوارجلاني ووداود بن عمر الوارجلاني. ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية.

فوزي، فاروق عمر(2007). الموجز في تاريخ عُمان السياسي في القرون الإسلامية الأولى (1-906هـ/622-1500م). ط1، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.

القلهاتي، محمد بن سعيد(ق:6هـ/12م)(1980). الكشف والبيان. تحقيق: سيدة إسماعيل كاشف، ط1، وزارة التراث والثقافة.

الكدمي، محمد بن سعيد (ت، ق:4هـ/10م) (1985). الجامع المفيد من أحكام أبي سعيد. ط1، وزارة التراث والثقافة.

الكندي، أبو بكر أحمد بن عبدالله (ت:557هـ/1162م) (2016). المصنف. تحقيق: مصطفى صالح باجو، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية.

الكندي، محمد بن إبراهيم(ت:508هـ/1115م) (1986). بيان الشرع. ط1، وزارة التراث والثقافة.

الكندي، محمد بن يوسف(ت:355هـ/966م)(2003). الولاة والقُضاة. تحقيق: محمد حسن اسماعيل وأحمد فريد المزيدي. ط1، دار الكتب العلمية.

مجهول (2005). تاريخ أهل عُمان. تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، ط2، وزارة التراث والثقافة.

المقدسي، شمس الدين محمد بن أحمد(ت:380هـ/990م) (1991). أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. ط3، مكتبة مدبولي.

وكيع، محمد بن خلف (ت:306هـ/918م) (1947). أخبار القُضاة. تحقيق: عبد العزيز المراغي، ط1، المكتبة التجارية.

مجلة الخليل للعلوم الاجتماعية
Al-Khalil Journal for Social Sciences
مركز الخليل بن أحمد الفراهيدي للدراسات العربية والإنسانية
Al-Khalil bin Ahmed Al-Farahidi Center for Arabic Studies and Humanities
جامعة نزوى
University of Nizwa
رقم العدد: 3 السنة: 2025

العولمة وأثرها على اللغة العربية ومستقبل الهوية: التحديات وسبل المواجهة

د. غصاب الصقر
جامعة التقنية والعلوم التطبيقية بصلالة
ghassab@utas.edu.om

ملخـــص:

الأهداف: يهدف البحث إلى توضيح التحديات التي تواجه اللغة العربية ومستقبل الهوية في ظل عصر العولمة، مع التركيز على السبل الممكنة للحفاظ عليهما.

المنهجية: اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي؛ لدراسة تأثير العولمة على اللغة العربية ومستقبل الهوية القومية.

النتائج: توصل البحث إلى أنَّ العولمة بكافة مجالاتها السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والقيمية، قد أثرت سلبًا على اللغة العربية ومستقبل الهوية القومية.

الخلاصة: دراسة تأثير العولمة على اللغة العربية ومستقبل الهوية تفيد في فهم التحديات التي تواجه اللغة العربية في ظل التغيرات الثقافية والاقتصادية العالمية، وتسهم في تحديد كيفية الحفاظ على اللغة العربية بوصفها جزءًا أساسيًا من الهوية القومية، وتسلط الضوء على السياسات والجهود اللازمة لتعزيز استخدام اللغة العربية في مختلف المجالات، مما يعزز من صمود الهوية العربية أمام محاولات الذوبان أو التهميش في ظل العولمة.

الكلمات المفتاحية: تحديات العولمة، العولمة، اللغة العربية، الهوية، سبل المواجهة.

تاريـــخ استـــلام البحـــــث:
Date of Submission:
18- 03- 2024

تاريـــخ التحكيـــــــم:
Date of Reviewing:
01- 04 -2024

تاريخ استلام النسخـــة المعدلة:
Date of receiving the revived form :
29- 09 -2024

تاريـــــخ القبـــــول:
Date of acceptance :
28- 11 - 2024

تاريـــخ النشـــر الرقمـــي:
Date of publication online :
01- 04 -2025

لإقتبـــــاس هذا المقـــــال:
For citing this article:
الصقر، غصاب. (2025). العولمة وأثرها على اللغة العربية ومستقبل الهوية: التحديات وسبل المواجهة. مجلة الخليل للعلوم الاجتماعية، العدد (3)، 47 - 57.

Globalization and its impact on the Arabic language and the future of identity: Challenges, Preservation Strategies

Dr. Ghusab Al-Saqr
University of Technology and Applied Sciences – Salalah
ghassab@utas.edu.om

Abstract:

Objectives: This research aims to clarify the challenges facing the Arabic language and the future of identity in the age of globalization, with a focus on possible ways to preserve both.

Methods: The research adopted a descriptive-analytical approach to study the impact of globalization on the Arabic language and the future of national identity.

Results: The research concluded that globalization, in its political, economic, cultural, social, and value-related aspects, has negatively impacted the Arabic language and the future of national identity.

Conclusions: Studying the impact of globalization on the Arabic language and the future of identity helps in understanding the challenges facing the Arabic language amidst global cultural and economic changes. It also contributes to identifying how to preserve the Arabic language as a core part of national identity and highlights the policies and efforts necessary to promote the use of Arabic in various fields, thus strengthening the resilience of Arab identity against attempts at erosion or marginalization in the face of globalization.

Keywords: Arabic Language, Globalization, Globalization Challenges, Identity, Preservation Strategies.

مقدمة

تولّدت رغبتنا في دراسة هذا الموضوع من أهمية اللغة العربية، كونها مقومًا أساسيًا من مقومات الشخصية العربية، ولسان القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والأمة المعبرة، وسجل حضارتها وثقافتها. وهي وسيلة التعبير عن المشاعر والأحاسيس، ووعاء للتفكير، وهي لغة العلم والإعلام، والبحث العلمي والتدريس. واللغة العربية عنوان الهوية القومية والانتماء، ومكون رئيس من مكوناتها؛ فالهوية هي السمة الجوهرية لثقافتنا، وهي التي تحمي ذاتنا الفردية والجماعية، من عوامل التعرية والذوبان. فاللغة العربية اليوم تعاني أزمة كبيرة، في ظل عصر العولمة، وتقف أمام تحديات جسيمة، على المستويين التنظيري والتطبيقي.

يهدف هذا البحث إلى تبيان التحديات التي تواجه اللغة العربية، ومستقبل الهوية القومية في عصر العولمة، وكيفية الحفاظ عليها. ولتحقيق ذلك أثرنا سؤالًا رئيسًا شكّل في جوهره إشكاله: ما مستقبل الهوية العربية في ظل تحديات العولمة؟ وانبثق عن هذا السؤال سؤالان فرعيان، هما: ما التحديات التي تواجه اللغة العربية والهوية القومية في ظل عصر العولمة؟ وكيف نحافظ على اللغة العربية التي هي رمز هويتنا القومية والثقافية والحضارية أمام هذه التحديات الكبيرة؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة، اتّبعنا المنهج الوصفي التحليلي؛ لاستقراء وتتبع وتحليل ظاهرة العولمة، من حيث مفهومها، وأسباب نشأتها، ومجالاتها. ودرسنا الهوية، من حيث مفهومها، وعلاقتها باللغة العربية، ومستقبلها في ظل عصر العولمة، لعله يفتح لنا مدخلًا جديدًا يساعدنا على الوقوف على التحديات التي تواجه اللغة العربية، ووضع حلول إبداعية خلاقة لها، لاستعادة المجد الحضاري العربي، والحفاظ على هويتنا العربية.

العولمة (Globalization):

تعد ظاهرة العولمة من الظواهر المثيرة للجدل في عصرنا الحالي؛ لما لها من تأثير على الناس في المجالات كافة، وفي جميع أقطار المعمورة، فما مفهومها؟ وما أسباب نشأتها؟ وما مجالاتها؟.

المفهوم:

العولمة هي عملية التفاعل والتكامل بين الأشخاص والشركات والحكومات، في جميع أنحاء العالم. ظهر مصطلح العولمة لأول مرة في أوائل القرن العشرين، ليحل محل المصطلح الفرنسي السابق (Mundialization))، وتطور معناه الحالي في النصف الثاني من القرن العشرين، ودخل حيز الاستخدام الشائع في التسعينيات، لوصف الاتصال الدولي غير المسبوق لما بعد العولمة- عالم الحرب الباردة. يمكن إرجاع أصولها إلى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، بسبب التقدم في تكنولوجيا النقل والاتصالات. وقد أدت هذه الزيادة في التفاعلات العالمية إلى نمو التجارة الدولية، وتبادل الأفكار والمعتقدات والثقافة. العولمة هي، في المقام الأول، عملية اقتصادية للتفاعل والتكامل، ترتبط بالجوانب الاجتماعية والثقافية. ومع ذلك، فإنَّ النزاعات والدبلوماسية الدولية تشكل أيضًا جزءًا كبيرًا من تاريخ العولمة والعولمة الحديثة.

إنَّ مفهوم العولمة يستمد معظم قوته من تكثيف الارتباطات عبر المستويات الأربعة الآتية لتشكيل المعنى الاجتماعي ((Paul & Manfred, 2014, PP. 431-432:

أولًا، على مستوى الأفكار: تدور الأفكار والمفاهيم بطرق غير محددة على مستوى تكوين المعنى. يعد المتكلمون الفرديون المعنى أمرًا حاسمًا لتعميم المعاني المشتركة، لكن قوة البقاء وانتشار المفاهيم تعتمد على مستويات أعمق من المستوى الاجتماعي - الذاتية والموضوعية على حد سواء.

ثانيًا، على مستوى الأيديولوجيات: إنَّ التنافس حول المعاني والتفاهمات والتفسيرات، يأخذ هذا التداول وتوحيد المعنى إلى منطقة "سياسية". وهنا، يعد ازدهار مفهوم "العولمة" أمرًا نموذجيًا، كما قد تضع المجموعات السياسية المختلفة، وذلك ضمن الإطار المفاهيمي، الذي يوفر الذخيرة لبرامج وأجندات سياسية ملموسة. وظهر هذا المستوى نتيجة لتكثيف الحوارات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، خاصة في مجالات الدراسات الدولية، والدراسات الدينية، والأنثروبولوجيا. وببساطة، فإنَّ هذا التنافس الأيديولوجي يضع المفهوم في مجموعة من ارتباطات المعنى الأخرى.

ثالثًا، على مستوى التخيلات: منذ بضعة عقود مضت، بدأ خيال العولمة الجديد في الظهور، وما يزال يحمل أجزاء كبيرة من الميراث المفاهيمي للخيال الوطني المهيمن سابقًا. من المؤكد أنَّ علاقات العولمة لا تزال تُناقش اليوم من حيث العلاقات الدولية، والاتصالات العابرة للحدود الوطنية، و"النظام العالمي". لقد بُنيت المهن الفردية على مصطلح "العلاقات الدولية"، ومن الأكثر أمانًا لهؤلاء الأفراد إعادة تعريف المصطلح كما لو كان "الوطني" حرفًا ساكنًا صامتًا.

رابعًا، على مستوى الوجود: تصبح المفاهيم ذات أهمية حاسمة عندما توفر وسيلة لوصف المعنى العميق للحالة الإنسانية. لقد استغل مفهوم العولمة على هذا المستوى من الأنطولوجيات، جوهر المعنى الاجتماعي حول التحولات المعاصرة في الزمان والمكان، والأبعاد الأخرى للعلاقات الاجتماعية.

يظهر مفهوم العولمة في أدبيات العلوم الاجتماعية، على أنَّه أداة تحليلية لوصف عمليات التغيير في مجالات مختلفة. لكن العولمة ليست محض مفهوم مجرد، فهي عملية مستمرة، تلاحظ باستعمال مؤشرات كيفية وكمية، في مجالات الثقافة والسياسة والاقتصاد والاتصال. ويمكن القول: إنَّ صياغة تعريف دقيق للعولمة تبدو مسألة صعبة، نظرًا إلى كثرة تعريفاتها، التي تتأثر بمواقف الباحثين الإيديولوجية، واتجاهاتهم نحو العولمة قبولًا أو رفضًا (يس، وآخرون، 1989، ص25). وإذا أردنا أن نقترب من صياغة تعريف شامل للعولمة لا بُدَّ أن نضع في الاعتبار ثلاث عمليات تكشف عن جوهرها:

العملية الأولى: تتمثل في انتشار المعلومات بحيث تصبح مشاعة بين البشر جميعهم.

العملية الثانية: تتعلق بتذويب الحدود بين الدول.

العملية الثالثة: هي زيادة معدلات التشابه بين الجماعات والمجتمعات والجماعات. وكل هذه العمليات قد تؤدي إلى نتائج سلبية لدى بعض المجتمعات، ونتائج إيجابية لدى بعضها الآخر (يس، وآخرون، 1989، ص27). فيمكن القول: إنَّ جوهر عملية العولمة يتمثل في سهولة انتقال الناس والمعلومات والسلع، بين الدول على النطاق الكوني.

العولمة هي ترجمة للمصطلحين الإنجليزي: (Globalization) والفرنسي: (Mundialization)؛ وبهذا يكون مفهوم العولمة لغويًا: الحمل والإجبار والإكراه على العالمية، فهي على وزن الأسلمة، أي الحمل على الإسلام أو الكاثوليكية، أو القولبة، أي الإجبار على التقولب بقوالب جاهزة (البنا، 2006، ص ص230- 231).

أما اصطلاحًا، فقد تعددت التعريفات واختلفت باختلاف المنطلقات والتوجهات، ومن هذه التعريفات: "الغطاء النظري أو الفلسفة النظرية لاقتصاد السوق، ولمجموعة الدول الصناعية، والشركات متعددة الجنسيات، من أجل فتح أسواق العالم أمام الصناعات الغربية، بدعوى المنافسة، والانفتاح، وتشجيع الدول الأقل نموًا على التنمية" (البنا، 2006، ص231). ليست العولمة مجرد آلية من آليات التطور التلقائي للنظام الرأسمالي، بل إنها أيضًا دعوة إلى تبني نموذج معين، وهي أيضًا إيديولوجيا هدفها الهيمنة على العالم وإقصاء الخصوصي (مراد، 2002، ص23).

والعولمة تعني: "إزالة الحواجز والمسافات بين الشعوب بعضها وبعض، وبين الأوطان بعضها وبعض، وبين الثقافات بعضها وبعض. وبذلك يقترب الجميع من (ثقافات كونية) و (سوق كونية) و(أسرة كونية)". وهي كذلك العملية التي تؤثر من خلالها الثقافات على بعضها البعض، وتصبح أكثر تشابهًا من خلال التجارة والهجرة، وتبادل المعلومات والأفكار (Doku & Oppong, 2011, P.2).

والعولمة أيضًا: اصطباغ العالم بصبغة واحدة شاملة للدول والشعوب كافة، وكل من يعيش فيها، وتوحيدها في كافة المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية، دون اعتبار لاختلاف الأديان والثقافات والجنسيات والأعراق، وهي أيضًا تغير لما هو مألوف، وترك الأمور تتحرك ضمن أنساق جديدة غير محدودة عبر العالم (جميل، 2001، ص29).

العولمة -في وقتنا الحاضر- تعني نفي الآخر، وإحلال الاختراق الثقافي محل الصراع العقائدي. وتُبنى ثقافة الاختراق على أوهام متعددة، هدفها التطبيع مع الهيمنة، وتكريس الاستتباع الحضاري، وإفراغ الهوية الجماعية من كل محتوى، وجعلها مشتتة ومفتتة من أجل إبعاد الناس عن أوطانهم وأمتهم، وجعلهم متحاربين)السيد، د.ت، ص2).

من الصعوبة بمكان، الإحاطة بالمفهوم والتعاريف المطروحة لمصطلح العولمة؛ بسبب حداثة المصطلح، وعدم بلورته حول معنى مستقر ثابت، فبعضهم يحصره في الدور الاقتصادي، وهيمنة النظام الرأسمالي على أسواق العالم، والسيطرة عليها باسم النظام العالمي الجديد، وعليه تكون السيطرة للقطب الواحد، ممتلك المعلومة والتكنولوجيا وأدوات الاتصال، وبعضهم لا يرى فيه إلا البعد الثقافي، وما ينتج عنه من طمس وإلغاء للثقافات الوطنية والدينية والقومية، وبعضهم لا يرى إلا الهيمنة والسيطرة السياسية والاحتواء لحركة العالم؛ لأنَّ الحروب القادمة صراع ثقافات وحضارات، وكذلك فإنَّ الأسرة بوصفها نمطًا اجتماعيًا قد انتهت، والإيديولوجيا أيضًا انتهت....إلخ، فهو عصر النهايات التي لا بدَّ أن تصطبغ بلون النظام العالمي ورؤيته، وبعضهم يتوقف عند قراءة اللفظ من الناحية اللغوية، فيرى أنَّها مشتقة من الفعل (عولم)، أي صيّر العالم وفق رؤيته، ومنهم من يعد العولمة صفة لشكل العالم الجديد (مراد، 2002، ص ص24-25). ومن ناحية

متعددة التخصصات يمكن التفاعل مع العولمة بوصفها ظاهرة وفلسفة وعملية، تؤثر على البشر بعمق مثل أي حدث سابق ((Khan,2023.

وعلى العموم، فإنَّ ما عرضناه من تعريفات لمصطلح العولمة لا يخرج عن محاولة منا لفتح أفق جديدة، من وجهات نظر مختلفة؛ لعلها تسهم بقدر من التصور والفهم، الذي يمنح قدرًا، لإدراك ثقافة العولمة وآلياتها، ومعرفة إيجابياتها وسلبياتها، لكي نعرف كيف نتعامل معها، لنحمي لغتنا العربية وهويتنا القومية.

النشأة:

يمكن أن نعزو نشأة العولمة إلى الأسباب الآتية:

- البعد التقني القائم على إلغاء حواجز الاتصال والنقل بين البلدان. لقد بدأت عجلة العولمة تسير بشكل متسارع، وأصبحت تظهر في كل مكان، وذلك بما قدمته التكنولوجيا، ووسائل الاتصال، وأوعية الإعلام، والشبكة المعلوماتية "الإنترنت"، من إمكانات أسقطت الحدود، وطوت الزمان، واختزلت المكان، فنشأت منظمات تحمل إيقاع العولمة، مثل: "أطباء بلا حدود"، و"مراسلين بلا حدود"، و"صحفيين بلا حدود"، وغير ذلك (مراد، 2002، ص26).
- انهيار الاتحاد السوفييتي والكتلة الاشتراكية، ونهاية الحرب الباردة (يس، وآخرون، 1989، ص23)، وتفكيك المنظومة الشيوعية، لم يضع حدًا للصراع التقليدي فحسب، بل يضع نهاية للتاريخ أيضًا، بوصفه صراعًا مريرًا مدمرًا، وتلك النهاية تجعل التاريخ يميل إلى الاستقرار عند الرأسمالية العالمية، بوصفه نظامًا للديمقراطية الليبرالية الغربية، ونظامًا اجتماعيًا وسياسيًا عالميًا أمثل (مراد، 2002، ص30).
- ظهور الشركات المتعددة الجنسيات، وهيمنتها على المقدرات والفعاليات الإنتاجية والمالية عبر العالم (خلف، 1998، ص61). نظمت الشركات متعددة الجنسيات مجموعة من الأنشطة التجارية، بما في ذلك البحث والتطوير، وتصميم المنتجات، وتوريد المدخلات والتصنيع والتوزيع، وتم تشكيل خدمات الدعم، مثل: السيارات، وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، كما جلبت هذه الشركات معها تقنيات جديدة؛ مما أدى إلى زيادة الإنتاجية في البلدان المستفيدة (Globalization: Opportunities and Challenges, P.4). وتمثل أنماط السلوك والممارسات التجارية للعاملين، في هذه الشركات العالمية، مصدرًا هامًا لثقافة تمتد عبر القوميات، وقد رافق ذلك تشكيلات ثقافية على مستوى العالم ككل، يشار إليها اليوم باسم "الثقافة العالمية" (خلف، 1998، ص61).
- بزوغ نجم القوة البحرية الأوروبية في البرتغال، وقضائها على النظام الاقتصادي العالمي العربي(يس، وآخرون، 1989، ص23).
- توسع نشاط الشركات العالمية أدى إلى تغيير جذري في نظم الإنتاج والإدارة، وفي تقسيم العمل الدولي، وفي دور الدولة، وأهداف السياسة العامة (يس، وآخرون، 1989، ص26).
- تكوين حركات سياسية تعمل على مستوى عالمي. لقد تكونت أممية اشتراكية على مستوى العالم كله، تعمل جنبًا إلى جنب مع حركات سياسية، ومنظمات أعمال ومنظمات إنسانية عالمية (مراد، 2002، ص80)، مثل: منظمة التجارة الدولية (WTO)، ومنظمة الأمم المتحدة (UN)، ومنظمة الأمم المتحدة للتربية والتعليم والثقافة (UNESCO)، وغيرها.
- تطورات النظام الدولي بعد الحرب العالمية الثانية، وبروز الولايات المتحدة الأمريكية بوصفها قوة قيادية للعالم الرأسمالي بلا منازع، أدى إلى تكامل الأسواق العالمية والرأسمالية الدولية، في بناء هرمي توجد قاعدته الأساسية في المصارف والمؤسسات المالية، في الدول الرأسمالية الكبرى، وعدد من المؤسسات الدولية المتعددة الأطراف، على رأسها صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي للتنمية. ولهذا، يتم إدماج الدول النامية في إطار النظام الرأسمالي وفق شروط غير متكافئة، ويتم هذا الإندماج بوساطة القيود والروافع المالية والاقتصادية. ويقوم صندوق النقد الدولي والبنك الدولي في التأثير على القرارات الاقتصادية، للأعضاء في دول العالم الثالث، والتدخل بالدور القيادي لهذه المؤسسات. ويستخدم البنك الدولي نفوذه الكبير في إقناع الدول المقترضة باتباع السياسات التي ينصح بها، ويستخدم في ذلك وسيلتين رئيستين، هما: الضغط الاقتصادي، والدور الإعلامي والتعليمي (عبد الله، 1986، ص104).

المجالات:

تهدف العولمة إلى إعادة تشكيل العالم وفق مصالحها وأطماعها، وتتبلور العناصر الأساسية لها في مجالات خمسة متداخلة، هي: الاقتصاد، السياسة، الاجتماع، القيم، والثقافة، ويمكن توضيحها على النحو الآتي:

العولمة الاقتصادية: تدعو إلى الانفتاح على العالم، وتعميم الاقتصاد والتبادل الحر، وإلى قيم المنافسة والانتاجية (يس، وآخرون، 1989، ص44)، ولكنها في حقيقة الأمر، لا تخدم إلا فئة معينة من البشر، ومؤسسات عالمية تتبع دول كبرى، هدفها السيطرة على اقتصاديات العالم الثالث وتدميره. فالاستثمار الأجنبي المباشر هو أحد المحركات الرئيسة للعولمة (Raj, 2003, P.1). إنَّ القروض والاستثمارات التي تمنح للدول الفقيرة، ودخول تكنولوجيا المعلومات في تحويل رأس المال كل ذلك يستخدم للسيطرة على هذه الدول وإشاعة الفقر فيها؛ مما يؤدي إلى استنزاف القيم كلها التي تراكمت على مدى سنوات من العمل الوطني (جيبسون، 2001، ص104).

العولمة السياسية: هي الدعوة إلى اعتماد الديمقراطية وحقوق الإنسان والحريات الفردية، وهي إعلان لنهاية الحدود، ولنهاية سيادة الدولة، ولتكامل حقل الجغرافيا السياسية (يس، وآخرون، 1989، ص44). وفي الوقت نفسه، تقوم ببث النزاعات الطائفية والقبلية والعرقية والدينية بين الدول؛ مما يؤدي إلى ضعفها، وعدم قدرتها على المواجهة. لقد فرضت العولمة التدخل من قبل الدول الكبرى في شؤون الدول النامية، تحت عدد من الذرائع، فهناك ما يسمى بالعولمة التشريعية؛ إذ تحاول الدول القوية وضع تشريعات تعالج بعض الظواهر في المجتمعات الضعيفة من وجهة نظرها، وغالبًا ما تكون هذه التشريعات في إطار المنح للدول التي ترضى عنها، أو المنع للدول التي ترى أنَّها لا تطبق قراراتها (آل عايش، 2015، ص108).

العولمة الاجتماعية: تعد الأسرة النواة الأساس في المجتمع المسلم، فمنها تبدأ نشأة الفرد، ومنها يكتسب مهاراته الأولى واتجاهاته وميوله وعواطفه، وترتبط الأسرة مجموعة من الأحكام التي تنظم العلاقة بين أفرادها، فأتت العولمة لتتدخل في تركيبها، وإعادة توزيع الأدوار والمسؤوليات فيها، تمهيدًا للقضاء عليها.

العولمة القِيَمِيَّة: تسعى العولمة جادة إلى تدمير القيم والأخلاق، ومن مظاهر ذلك: الإباحية، والشذوذ الجنسي، والمثلية، والعلاقات الجنسية المحرمة خارج إطار الزوجية، والإجهاض، وغير ذلك.

العولمة الثقافية: يدعو هذا النوع من العولمة إلى سيادة المفاهيم الثقافية الغربية، واختفاء أمامها المفاهيم الأخرى في ثقافات العالم أجمع، وخاصة في قضايا مهمة، مثل: العلاقة بين العقل والدين: لا بُدَّ أن تخضع الحياة كلها للعقل والنهج التجريبي. والموقف من حقوق الإنسان: يستخدم الغرب هذا الأمر ضد الأنظمة غير المرغوب فيها، بحجة أنها تنتهك حقوق الإنسان.

والموقف من المرأة: لا يوجد فرق بين الرجل والمرأة، ويصبح متاحًا لها ما يتاح للرجل. واعتماد الأصل البشري الواحد: يتيح هذا المفهوم للرجل الغربي الاستعلاء، وتفوق الرجل الأبيض. ورفض الفوارق الدينية: تسعى العولمة إلى إزالة الحواجز في الحوار بين الأديان، وجعل دين واحد للبشر جميعًا (البنا، 2006، ص ص233-234) كل هذه المفاهيم تدعو إلى اتباع النمط الغربي في الحياة، من ملبس ومأكل ومشرب ولغة وعادات وتقاليد ...إلخ؛ الأمر الذي يؤدي إلى إلغاء الهوية الثقافية الوطنية للشعوب، وطمسها وجعلها هوية غربية.

الهُوِيَّة (Identity):

الإنسان كائن يتشبث بشبكة المعاني والرموز التي ينسجها بنفسه، فهذا التشبث يدفعه إلى منحها صفة السمو والقداسة، وعليه، فإنه يتعامل مع ثقافته في مقابل الثقافات الأخرى، على أساس أنَّها وحدها التي تحمل المعنى والغاية. فقدرة الإنسان على صنع ثقافة، وإنشاء حضارة هو ما يميزه عن الكائنات الأخرى. ومن هذا المنطلق، انبثق مفهوم الهوية الذي تزداد وتيرة الحديث عنه، ومدى الخطر المهدد له في زمن العولمة الذي نعيشه (الحمد، 1999، ص ص17-18).

قبل الخوض في الحديث عن موضوع الهوية، فلا بُدَّ أن نقف على المعنى اللغوي والاصطلاحي لها، فالهُوِيَّة لغة مأخوذة من الجذر (هُوَ)، وهي حقيقة الشيء أو تمييز الشخص عن غيره (عمر، 2008، 3/2372). وهي "الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الطيب" (الجرجاني، 1983، 257). وهي "إحساس الفرد بنفسه وفرديته وحفاظه على تكامله وقيمته وسلوكياته وأفكاره في مختلف المواقف" (عمر، 2008، 3/2372).

يطلق مفهوم الهوية على نظام المعايير الذي يُعرف به الفرد ويُعرَّف، وينسحب ذلك على هوية الجماعة والمجتمع والثقافة. ويعد من المفاهيم المركزية التي تسجل حضورًا دائمًا في مجالات علمية متعددة، لا سيما في مجال العلوم الإنسانية ذات الطابع الاجتماعي (ميكشيللي، 1993، ص7)؛ لأنَّ للعولمة تأثيرًا نفسيًا أساسيًا على قضايا الهوية؛ إذ تؤدي إلى تحولات في كيفية تفكير الناس في أنفسهم، فيما يتعلق بالبيئة الاجتماعية (Doku & Oppong, 2011, P.2). وعليه، فإنَّه من أكثر المفاهيم تغلغلًا في حياتنا اليومية الثقافية والاجتماعية، ومن أكثرها شيوعًا واستخدامًا (ميكشيللي، 1993، ص7).

إنَّ الهوية ليست كيانًا معطى دفعة واحدة وبلا نهاية، إنَّها حقيقة تولد وتنمو، وتتكاثر وتكبر وتشيخ، وتعاني من الأزمات الوجودية والاستلاب. وهي مركب من المعايير الذي يسمح بتعريف موضوع ما، أو شعور داخلي ما. وينطوي هذا الشعور على مجموعة من المشاعر المتعددة، من نحو: الشعور بالوحدة، والانتماء، والقيمة، والتكامل، والاستقلال، والشعور بالثقة (ميكشيللي، 1993، ص15،7). والهوية ليست شيئًا جامدًا، بل تتطور وفقًا لمنطقها الخاص، الذي يتمثل في عمليات التقمص والتمثل والاصطفاء. وهي -في أثناء تطورها- تنمو تدريجيًا، وتعيد تنظيم نفسها، وتتغير من غير توقف، إلى حد تكون فيه قادرة على تحديد خصوصية الكائن الإنساني (ميكشيللي، 1993، ص ص129-130).

وما دامت الهوية مركبة من معايير، فهي بالضرورة متغيرة، ونتيجة تعرضها للمتغيرات ينشأ مفهوم "أزمة الهوية"، والأزمة ليست في الهوية ذاتها، ولكنها في العقل المأزوم، غير القادر على استيعاب المتغيرات، وإنتاج عقل جديد وثقافة جديدة. فالهوية متغير اجتماعي مثل أي متغير آخر، ومحاولة تثبيتها ذهنيًا ضمن عناصر منتقاة (الآلية المعرفية في الاختزال والانتقاء) يقضي عليها في النهاية، من حيث إرادة المحافظة عليها. ومن ناحية أخرى، فإنَّ الهوية ممارسة وسلوك قبل أن تكون تصورًا ذهنيًا، والسمات العامة للهوية تكتسب من خلال تفاعل الجماعة مع بعضها بعضًا. والهوية أيضًا جزء من النسيج الثقافي للجماعة المتفاعل مع متغيرات الحياة، والذي يتساءل عن الهوية وهاجسها، هو الذي لديه فصام بين الممارسة وبين ما في الذهن، من تصورات غير قادرة على استيعاب تغيرات الممارسة وآلياتها، ولعلَّ هذا هو الوضع العربي إجمالًا، سواء أكان ذلك في الخطاب السياسي، أم في الخطاب الثقافي العربي (الحمد، 1999، ص18)، وهذا ما يقودنا إلى قضية مستقبل الهوية العربية في ظل تحديات العولمة.

اللغة العربية ومستقبل الهوية في عصر العولمة: التحديات وسُبُل المواجهة

ترجع كلمة لغة في المعاجم العربية إلى مادة (لَغَوَ). لَغَا يَلْغُو لَغْوًا: تكلَّم، وفي الحديث النبوي: "من قال في الجمعة، والإمام يخطب، لصاحبه صه، فقد لغا؛ أي تكلم". واللغة: اللسن، وحدها: أنَّها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، وهي فُعْلَة من لَغَوْت، أي تكلمت، وأصلها لُغْوَة، ككُرة وقُلة، والجمع لُغات ولُغون (أبو الحسن، 2000، 6/26).

اللغة أقدم تجليات الهوية، وهي التي صاغت أول هوية لجماعة في تاريخ الإنسان، فالإنسان الواحد هو الذي جعل من كل فئة من الناس "جماعة" واحدة ذات هوية مستقلة. واللغة والهوية خاصيتان إنسانيتان؛ لأنَّ الإنسان يملك الوعي، والشعور بالذات وبالآخر وحده، فكلاهما مرتبط بالعقل. وهما كذلك أوليتان، أي قديمتان وجدتا مع وجود الإنسان على هذه الأرض، فالله -سبحانه وتعالى- ميَّز آدم وعلَّمه الأسماء كلها، وما الأسماء في حقيقتها إلا نوع من اللغة، التي تجعله قادرًا على التفكير فيما يحيط به والتعامل معه، ثم إنَّ هذه العملية ميَّزته عن غيره من المخلوقات، وحددت هويته، فهو كائن مختلف ويمتلك خصائص غير متوافرة فيهم. وكلاهما كذلك كل مركب، بلغة الفلسفة والمنطق، أي أنَّهما أشياء تندرج تحتها أجزاء متداخله، لا يمكن فصلها عن بعضها بعضًا، فاللغة تحتوي طرائق التفكير والتاريخ والمشاعر، وإرادة الناس وطموحاتهم، وشكل علاقاتهم، والهوية أيضًا هي هذه العناصر في كليتها وتركبها. فاللغة والهوية هما إذًا وجهان لعملة واحدة، أي إنَّ الإنسان في جوهره ليس سوى لغة وهوية، فاللغة فكره ولسانه وانتماؤه، وهذه الأشياء هي وجهه وحقيقته وهويته (الحفيان، د.ت).

إذا كانت اللغة هي الهوية، فإنَّ اللغة العربية، هوية لأصحابها (العرب) ولغيرهم من المسلمين، ذات خصوصية، فهي أعلى مستوى من مجرد لغة، وأكثر عمقًا، وأشد التصاقًا بناطقيها، إنَّها هوية تمتلك كثيرًا من عناصر القوة، وهذه العناصر هي، القداسة: فالعربية استمدت قداستها من ارتباطها بالقرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، فهي ليست لغة تواصلية فحسب، بل لها وظيفة دينية، فهي تعبر عن أوامر الله، وهي وسيلة المسلم لمناجاة ربه. والحفظ: لقد تعهدها الله بالبقاء وأن تبقى ما بقيت الحياة لأنَّها لغة القرآن الكريم. والتاريخية: فاللغة وعاء للتاريخ، وترجمانه المعبر ولسانه الناطق. والجغرافيا: لقد امتدت العربية على مساحات شاسعة من العالم بفضل الإسلام، فكل مكان وصلته كانت تتفاعل مع طبيعته وسكانه، تأخذ منه ومنهم وتعطيهم، فازدادت ثراء. والحضارية: لقد صنعت العربية حضارة عريقة، وسجلت سبقًا في حقبة تاريخية، فقد قادت الحضارة واستلمت رايتها، فهذا الإنجاز يكون سندًا عظيمًا لها (الحفيان، د.ت). والأمة العربية تكمن أصالتها في لغتها، التي بها شمخت، وعليها قامت حضارتها، فهي قلب فكرها، وعنوان وجودها، وميزة أصالتها، فيها تحيا وعليها تتجدد (الحقيل، 2011، ص9)؛ إذ يقول ابن خلدون: "إنَّ غلبة اللغة بغلبة أهلها، وإنَّ منزلتها بين اللغات صورة لمنزلة دولتها بين الأمم" (ابن خلدون، 1981، ص764).

واللغة هي الناقل لثقافة الأمة، وبوصفها نتيجة لتاريخ مشترك، فإنَّها هي التي تخلق الإرادة لدى الشعب ليصبح أمة، وفي هذا الإطار من الارتباط الوثيق بين اللغة والهوية الوطنية، يبرز الدفاع عن اللغة كدفاع عن مجموعة من القيم التي تنقل من جيل إلى آخر (Hassan,2012, P.425).

تصنف اللغة العربية ضمن أسرة اللغات المتصرفة، وهي أرقى الأسر اللغوية؛ إذ تمتلك وسائل كثيرة تزيد من قدرتها على تحقيق وظائفها في التعبير والتواصل، ومن ذلك الاشتقاق بأنواعه والنحت، والإلصاق والمجاز، والثراء في المادة، وفي الآليات التي تغني هذه المادة، وتزيد من قدرتها، على تحمل المعاني المتعددة، والتعبير عنها (الحفيان، د.ت). وتتميز كذلك بقدرها على توليد المعاني، والألفاظ، وقدرتها على التعريب، واحتواء الألفاظ من اللغات الأخرى، إلى جانب غزارة صيغها، وكثرة أوزانها، وهذه السعة من المفردات والتراكيب أكسبتها القدرة على التعبير بوضوح وسلاسة (متولي، د.ت).

أما بخصوص عالمية اللغة العربية، فهي اللغة العالمية الأولى في مختلف العلوم والفنون، في عصر ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، منذ القرن الثالث الهجري، وقد نشأت مراكز لدراسة اللغة العربية في باريس وأكسفورد وروما، وقد أصبحت لغة التجارة والثقافة، ووسيلة الاتصالات الدولية، وبسبب انتشارها وعالميتها، قررت الأمم المتحدة في جلستها العامة في ديسمبر 1973، جعل اللغة العربية لغة رسمية من ضمن لغاتها الرسمية المقررة في الجمعية العامة ولجانها الرئيسة (متولي، د.ت).

وبسبب العلاقة المتينة بين اللغة العربية والهوية القومية، تواجه الأمة العربية هجمة استعمارية شرسة لا تهدأ أبدًا، من أجل طمس لغتها وهويتها ودينها، وقتل روح الإبداع فيها، ونزوحها عنها، وانسلاخها عن هويتها، وإضعاف روح المقاومة فيها ليسهل السيطرة عليها؛ فعندما تضعف اللغة العربية تضيع هيبتها بين أبنائها والناطقين بها، وتضيع منهم هويتهم التي هي عنوان وجودهم.

التحديات:

تقف اللغة العربية -التي تحدد ملامح هويتها القومية، وتميزها عن غيرها، في ظل العولمة المهيمنة على المجتمع الدولي- أمام تحديات كثيرة، تؤثر سلبًا على مستقبل هذه الهوية، نلخصها في الآتي ذكره:

- السياسة الاستعمارية الجديدة التي تسود العالم اليوم، وتسعى إلى تنميط البشر والقيم والمفاهيم، وفق معاييرها الجديدة، وتسعى كذلك إلى صياغة هوية شمولية، تفرضها في الواقع الإنساني في إطار مزيف من التوافق القصري والإجماع المفروض بالقوة. إنَّ قوة الإبهاء التي تطرح بها الهوية الشمولية ذات المرجع الغربي، والأمريكي تعمي الأبصار عن رؤية الحقائق على الأرض؛ مما يؤدي إلى توهم أنَّ هذه الهوية المغشوشة هي الهوية العصرية، الهوية الكونية، هوية الحداثة والمدنية، الهوية التي ينبغي أن تسود العالم وتقوده (كرمة، 2006، ص38).

- الصراع بين العامية والفصحى في لغتنا العربية: تبرز هذه المشكلة في التبشير بإحلال العامية محل الفصحى، ثم المناداة باستخدام الحروف اللاتينية كبديل للحروف الأبجدية العربية. إنَّ أبرز الأسباب التي أدت بأصحاب تلك الدعوى في حربهم على الفصحى -بحسب زعمهم- أنَّ العامية ذات طواعية ومرونة في الفهم، وأنَّ استخدام الحروف اللاتينية يتفق مع متطلبات العصر الحديث؛ لأنَّ الحروف العربية في نظرهم عاجزة عن مسايرة العصر(جميل، 1986، ص11). ومما يشكل خطورة على اللغة العربية أيضًا انتشار اللهجات العامية، واختلافها في النطق والأداء والتصريف لدى العمالة الآسيوية الوافدة، وهذه اللهجات لم تعد تهدد العربية في السوق فحسب، بل حتى داخل البيوت نفسها، حتى أنَّك لتجد في البيت الواحد عدة جنسيات، تتكلم عدة لغات، وتختلط بالأطفال في سن التلقي، فينشأ الطفل بعيدًا عن لغته الأم (كرمة، 2006، ص38)، ويصاب بالعجمة.

- ترسخ عند معظم أبناء العربية الشعور بعجزها عن مواكبة حركة العلم والتكنولوجيا، وتأكدت أمامهم عظمة اللغات الأجنبية الأخرى، التي تحتضن الفكر العربي المعاصر، وتنقله؛ الأمر الذي ينتج عنه الشعور بالدونية والنقص أمام اللغات الأخرى، إذ صار النطق باللغات الأجنبية دليل تفوق فكري وحضاري(كرمة، 2006، ص38).

- قلة النتاج الثقافي والعلمي في اللغة العربية، مقارنة بغيرها من اللغات الأخرى؛ وقد أدى ذلك إلى أن يجد الإنسان العربي ضالته واحتياجاته العلمية في المصادر الأجنبية أكثر من لغته العربية، وقد نتج عن ذلك انتشار التعلم باللغات الأجنبية في المؤسسات التعليمية العربية؛ إذ أصبحت اللغة العربية تعيش غربة في أهم حصونها، مما كان له الأثر الكبير على هوية الإنسان العربي (البديرات، والبطاينة، 2016، ص40).

- التلكؤ في إصدار القرار السياسي الملزم للتعريب، في معظم الدول العربية، وغياب التخطيط اللغوي، ما دامت السياسة اللغوية غائبة، وتشتت الجهود، وعدم التنسيق بين العاملين في ميدان التخصص (السيد، "د.ت"، ص8).

- انغماس الجيل العربي اليوم في قضايا بعيدة عن تكوينه الثقافي واللغوي، مثل: معيشته اليومية، واهتماماته الرياضية، وهمومه السياسية. إنَّ جيل اليوم لا يقرأ كثيرًا، بل يتصفح قليلًا، وهو مشغول البال، ضعيف الحال، مشتت الأفكار، لا يعرف من الثقافة إلا مصطلحاتها، ولا يتمتع بجرأة علمية، أو شجاعة أدبية، أو موهبة لغوية (جميل، 1986، ص12). فنقص الثقافة اللغوية لدى الإنسان العربي، قد أثر سلبًا على المردود الفكري والثقافي، ويتمثل هذا النقص في القراءة والمطالعة (كرمة، 2006، ص39).

- الإعلام: تعزز العولمة استعمال اللهجات المحلية في وسائل الإعلام؛ فهذه المسلسلات المؤلفة والمدبلجة، والمنوعات، والحوارات واللقاءات، والبرامج الثقافية، والأدبية، والدينية كلها لا تبث باللغة العربية الفصحى. وأيضًا، نجد الإعلانات تنأى عن استعمال العربية السليمة، فنجد الإعلانات مصوغة بالعامية، أو بالعربية المحشوة بالأخطاء اللغوية، أو بالكلمات الأجنبية، فهذا كله يسهم في تشويه اللغة العربية، ويعد عاملًا سلبيًا في اكتساب المهارات اللغوية لدى أبنائها (السيد، "د.ت"، ص12).

- في ظل هيمنة العولمة الاقتصادية، فإنَّ الشركات الأجنبية في البلاد العربية تروِّج لاستخدام اللغات الأجنبية، فأصبحت اللغة الإنجليزية لغة الأعمال التجارية المصرفية والسياحية، وأقصيت اللغة العربية عن مجالات العمل الاقتصادية، بل حوربت حربًا شعواء، وأصبح النجاح باللغة الإنجليزية شرطًا أساسيًا للتعيين في وظائف القطاعين العام والخاص (السيد، "د.ت"، ص12).

- ضعف اللغة العربية وتراجعها مقابل تفوق اللغات الأجنبية الأخرى عامة، واللغة الإنجليزية خاصة، في السيطرة على المحتوى الرقمي لمصادر المعلومات، الأمر الذي يؤدي إلى تأخر اللغة العربية عن مواكبة اللغات الأخرى ومجاراتها.

- فقدان الهوية الثقافية وفقدان الشعور بالانتماء لوطن أو أمة أو دولة؛ لأنَّ العولمة تكرِّس أيديولوجيا الفردية المستسلمة، والنزعة الأنانية، والحياد، وطمس روح الجماعية، الأمر الذي يؤدي إلى التطبيع والاستسلام لعملية الاستتباع الحضاري (علوي، 2014، ص92).

سبل المواجهة:

إنَّ التحديات التي تواجه اللغة العربية ومستقبل الهوية في ظل العولمة، على جميع الصعد، من حرب علنية، وأخطار خفية من أعدائها، ومن بعض أبنائها المعاصرين، والتي أدت إلى تفكك الهوية وانحدارها، تحتاج إلى تكاتف علماء اللغة، وعلماء تقنية المعلومات، وإلى دور المجامع اللغوية العربية، وأقسام اللغة العربية وآدابها في الجامعات العربية، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وجهود وزارات التربية والتعليم والتعليم العالي، والجامعات ومراكز البحوث والدراسات، ووسائل الإعلام العربية؛ للعناية بهذه القضية، ووضع حلول إبداعية خلاقة لها، لما تتمتع به منظومتها التركيبية والدلالية والتداولية من خصائص وسمات؛ لذا كان لا بدَّ أن نتخذ مجموعة من الإجراءات لمواجهة هذه التحديات، نلخصها في الآتي ذكره:

- غرس محبة اللغة العربية في نفوس أبنائها، واحترام معلميها، وتطوير مناهجها، وتشويق الشباب إليها، من خلال وسائل متعددة تعليمية وثقافية، وإعلاء شأنها في كل الأجهزة والدوائر والمؤسسات، واسترداد الثقة بمستقبلها لدى الشباب العربي في المدارس والجامعات الحقيل، "د.ت"، ص39).
- وجوب وجود بنى تحتية قوية للمنظومات المعلوماتية العربية، ومواجهة التدفق المعلوماتي بتدفق عربي حتى نعبر الفجوة الرقمية، ونستطيع النهوض السريع، ونكون منتجين للمعرفة، وليس مستهلكين لها، لنؤكد دخولنا قرن اقتصاد المعرفة (متولي، "د.ت").
- إصدار قرار سياسي ملزم في موضوع التعريب والتأليف العلمي باللغة العربية، وترجمة المصادر الأجنبية إلى اللغة العربية، للخروج من حالة التبعية، ولأنَّ اللغة القومية هي الوسيلة الفعالة لاستيعاب المضمون العلمي، وترسيخه في ذهن الإنسان العربي (علي، وحجازي، 1978، ص376).
- فرض استخدام اللغة العربية الفصحى في المراحل الدراسية جميعها، في المدارس والمعاهد والجامعات، ومنع استعمال اللهجات العامية.
- توجيه وسائل الإعلام في البلدان العربية إلى استخدام اللغة العربية الفصحى، في برامجها، ومسلسلاتها، وحواراتها، وإثراء المحتوى الرقمي العربي على الشابكة (الإنترنت)، وتطوير مهارات المذيعين بإعطائهم دورات مكثفة باللغة العربية، حتى يتمكنوا من إتقانها.
- وجوب اشتراط إتقان اللغة العربية للعاملين الأجانب في البلاد العربية، إلى الحد الذي يمكنهم من التعامل مع محيطهم، وذلك

بعمل امتحانات تقيس المهارات اللغوية لديهم، على شاكلة امتحانات الآيلتس، والتوفيل، وغيرها.

- بناء قاعدة بيانات معجمية للعربية الحديثة تشمل البيانات الصرفية والنحوية والدلالية، ومراجعة شاملة لتعريفات المعاني في المعجم العربي، وإنشاء نظام آلي لتوليد المصطلحات الجديدة بطرائقها المختلفة تعريبًا وترجمة ومزجًا، وتطوير نظام آلي للتحليل المعجمي قادر على استنباط المكونات الدلالية للمفردات (علي، وحجازي، 1978، ص388).
- جعل اللغة العربية لغة التعليم الجامعي والبحث العلمي في مجالات العلوم والطب والهندسة، والتعليم التقني بدلًا من اللغة الإنجليزية.
- تنفيذ قرارات مجامع اللغة العربية، والمؤتمرات المتخصصة، وتنفيذ توصياتها، انطلاقًا من الواقع وبأدوات العصر، وبالوسائل المتاحة لتطويرها، وحمايتها والحفاظ على خصوصيتها، لمسايرة روح العصر (سلامة، 2017، ص42).
- اعتماد اللغة العربية لغة رسمية، في المعاملات التجارية والقانونية، التي تنفذها الدول والشركات والمؤسسات العامة والخاصة (بن عربية، 2016، ص10).

- نتائج وتوصيات:

وفي نهاية البحث، توصلنا إلى مجموعة من النتائج، نلخصها في الآتي ذكره:

- إنَّ العولمة بكافة مجالاتها السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والقيمية، قد أثرت سلبًا على اللغة العربية ومستقبل الهوية القومية، وسعت جادة إلى محاربة الأمة العربية، من أجل طمس لغتها وهويتها ودينها، وقتل روح الإبداع فيها، ونزوحها عنها، وانسلاخها عن وطنيتها، وإضعاف روح المقاومة فيها، ليسهل السيطرة عليها في المجالات جميعها. لقد فرضت العولمة على اللغة العربية، وهويتها تحديات كبيرة، وهي: سعي السياسة الاستعمارية إلى تنميط البشر والقيم والمفاهيم، وفق معاييرها الجديدة، والتشجيع على استخدام العامية بدل الفصحى، في المدارس والجامعات ووسائل الإعلام المختلفة، والشعور بعجز اللغة العربية عن مواكبة حركة العلم والتقنية، وقلة النتاج العلمي والثقافي في اللغة العربية، وتلكؤ المسؤول العربي في إصدار القرار السياسي الملزم للتعريب، وترويج الشركات الغربية لاستخدام اللغات الأجنبية، في الأعمال التجارية والمصرفية والسياحية، وقلة المحتوى الرقمي العربي على الشابكة (الإنترنت)، وهيمنة اللغة الإنجليزية عليه، وفرض استعمال لغة العولمة (اللغة الإنجليزية) في التعليم العالي، والبحث العلمي، وينضاف إلى ذلك نقص الثقافة اللغوية لدى الإنسان العربي، وقلة مردوده الفكري والثقافي.

- وقدَّمنا مجموعة من التوصيات، نلخصها على النحو الآتي: لا بُدَّ -في ظل تحديات العولمة- أن يتكاتف الجميع في التصدي لهذه المعضلة، من علماء لغة، ووزراء تربية وتعليم وتعليم عالٍ، ومعلمين، وأساتذة جامعات، ووسائل إعلام، وعلماء تقنية معلومات، وعلماء نفس، ومجامع اللغة العربية، لوضع حلول خلاقة لها. ولكي تبقى اللغة العربية حية ومنتجة وفاعلة، فإنَّنا نوصي باتخاذ مجموعة من الإجراءات لمواجهة هذه التحديات، وهي: غرس محبة اللغة العربية في نفوس أبنائها، واحترام معلميها، وتطوير مناهجها، وتشويق الشباب إليها، والاعتزاز بالهوية الثقافية العربية، وإنتاج المعرفة العربية، من أجل مواجهة التدفق المعلوماتي غير العربي، حتى ندخل عصر اقتصاد المعرفة، وبناء قاعدة بيانات عربية على الشابكة (الإنترنت)، في كافة المجالات، وإصدار قرار سياسي ملزم في موضوع التعريب، والتأليف العلمي باللغة العربية، وترجمة المصادر الأجنبية إلى اللغة العربية، واستخدام اللغة الفصحى في المدارس والجامعات ووسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي، والابتعاد عن العاميات، وجعل اللغة العربية لغة التدريس الجامعي والبحث العلمي بدلًا من اللغة الإنجليزية، وتنفيذ قرارات مجامع اللغة العربية والمؤتمرات المتخصصة.

المراجع:

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. (1981). مقدمة ابن خلدون. بيروت، دار الفكر.

أبو الحسن، علي بن إسماعيل. (2000). تحقيق: عبد الحميد هنداوي. المحكم والمحيط الأعظم، بيروت، دار الكتب العلمية.

آل عايش، عبد الله بن خلفان. (2015). التعليم الديني في الوطن العربي وتحديات العولمة. المجلة التربوية الدولية المتخصصة، م 4، ع 34، 100-120.

بن عريبة، راضية. (2016). العولمة واثرها في اللغة العربية. مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، ع 16، 3-17.

البديرات، باسم يونس، و البطاينة، حسين محمد. (2016). اللغة العربية وأثرها في تجذير الهوية العربية والإسلامية في عصر العولمة، مجلة مقاليد، م 6، ع 1، مخبر النقد ومصطلحاته، جامعة قاصدي مرباح ورقلة.

البنا، فؤاد. (2006). العالم الإسلامي بين التخلف الحضاري ورياح العولمة. القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية.

الجرجاني، علي بن محمد. (1983). التعريفات. بيروت، دار الكتب العلمية.

جميل، سيار. (2001). العولمة الجديدة والمجال الحيوي للشرق الأوسط. بيروت، مركز الدراسات والتوثيق للنشر، ط2.

جميل، سيار. (1986). لغتنا العربية في خطر. مجلة الدوحة، ع 122، فبراير.

جيبسون، فردريك. ترجمة شوقي جلالا. (2001). العولمة والاستراتيجية السياسية. مجلة الثقافة العالمية، الكويت، ع 104.

الحفيان، فيصل. (د.ت). العلاقة بين اللغة والهوية. شبكة الألوكة. "متوفر بموقع": https://www.alukah.net/literature_language/0/7343/

الحقيل، عبد الله بن حمد. (2011). اللغة العربية هوية وانتماء. الرياض، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية.

الحمد، تركي. (1999). الثقافة العربية في عصر العولمة. بيروت، دار الساقي.

خلف، سليمان نجم. (1998). العولمة والهوية الثقافية، تصور نظري لدراسة نموذج مجتمع الخليج والجزيرة العربية. المجلة العربية للعلوم الإنسانية، م 16، ع61، الكويت.

سلامة، فتحية محمد صقر. (2017). مستقبل اللغة العربية: الواقع والتحدي. مجلة جامعة الزيتونة، ع 24، 29-48.

السيد، محمود. (د.ت). العرب والعولمة اللغوية. مجلة مجمع اللغة العربية، م 85، ع 4، دمشق.

عبدالله، إبراهيم سعد الدين. (1986). النظام الدولي وآليات التبعية، آليات التبعية في إطار الرأسمالية المتعدية الجنسيات. مجلة المستقبل العربي، ع 90، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

علوي، هند. (2014). اللغة العربية وتحديات العولمة. مجلة الدراسات اللغوية، ع 10، 91 - 102 .

علي، نبيل، وحجازي، نادية. (1978). الفجوة الرقمية. مجلة عالم المعرفة، يناير، الكويت.

عمر، أحمد مختار. (2008). معجم اللغة العربية المعاصر. الرياض، عالم الكتب.

كرمة، الشريف. (2006). اللغة العربية وعلاقتها بالهوية. حوليات التراث، ع 6.

متولي، ناريمان. اللغة العربية بين الانتماء والهوية والتحديات المستقبلية في عصر الرقمنة. صحيفة اللغة العربية صاحبة الجلالة، المجلس الدولي للغة العربية، "متوفر بموقع": https://www.arabiclanguage.org

محمد مراد، بركات. (2002). ظاهرة العولمة، رؤية نقدية. قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

ميكشيللي، إليكس. ترجمة علي وطفة. (1993). الهوية. دمشق، دار الوسيم للخدمات الطباعية.

يسين، السيد وآخرون. (1989). العرب والعولمة. بيروت، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية.

Doku, P. N. and Oppong Asante, K. (2011). Identity: Globalization, culture and psychological functioning. International Journal of Human Sciences [Online]. 8:2. "available at": http://www.insanbilimleri.com/en

Globalization: Opportunities and Challenges, "available at": https://www.unescap.org

Hassan, Bahaa El-Din. (2012). Language and identity: The impact of globalization on the Arabic language. Annals of Literature, Ain Shams, v 40, 421- 445.

Khan, M. (w.d). Teaching globalization, The Globalist, 28 August 2023. "available at": https://www.theglobalist.com/teaching-globalization/

Paul, J. and Manfred Steger (2014). A Genealogy of 'Globalization': The Career of a Concept, Globalizations, 11:4, 417- 434, DOI: 10.1080/14747731.2014.951186

Raj, K. (2003). Changing role of the public sector in the promotion of foreign direct investment. Asia- Pacific Development Journal, v 10, n 2, December.